أركـان للدراسات والأبحاث والنشر
Arkan for Studies Research and Publishing

مدارس الإرساليات التبشيرية الأمريكية وأثرها على الأقليات في الدولة العثمانية: الأرمن نموذجًا

إعداد
د. أحمد عبد اللّه نجم
الأستاذ بقسم اللغات الشرقية
كلية الآداب جامعة عين شمس

تمهيد:

مثَّلت الفتوحات العثمانية في أوروبا، منذ القرن الرابع عشر الميلادي، أحد أهم التحديات التي شكَّلت لاحقًا أسس سياسات الدول الغربية؛ حيث أدّى نجاح الدولة العثمانية في هذه الفتوحات إلى انكفاء أوروبا على نفسها في محاولة منها لصد هذا الهجوم العثماني الكاسح، فأخذت تُعيد بناء نفسها، وتشرع في إحداث نهضتها العلمية، وتتحيَّن الفرصة لإعادة فرض نفوذها السياسي والحضاري على حساب الدولة العثمانية، إما بأساليب ناعمة قائمة على الغزو الثقافي، أو بأساليب خشنة تتجسّد في الاحتلال العسكري.

وقد نجحت الدولة العثمانية حتى أواخر القرن السادس عشر الميلادي في تحقيق انتصارات عديدة في المجال العسكري، وكان ميزان القوى يميل في أغلب الأحيان لصالح العثمانيين. غير أن هذا التفوق العسكري لم يستمر على الوتيرة نفسها؛ ففي القرون التالية انتقلت العلاقة بين الدولة العثمانية والغرب إلى طور جديد من مراحل الصراع؛ إذ تمكنت أوروبا من تحقيق انتصارات في بعض المعارك التي دخلتها ضد الدولة العثمانية، وظلَّت الأمور في حالة أخذٍ وردٍّ بين العثمانيين والغرب المسيحي في أوروبا. وقد كشفت العقود الأولى من القرن السابع عشر الميلادي عن مؤشرات واضحة لبداية التراجع النسبي في قوة الدولة العثمانية، من قبيل عجز الدولة عن فرض سيطرتها الكاملة على بعض المساحات الحيوية في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وأخذت القوى الأوروبية المسيحية تُهاجم المنافذ الحيوية للدولة، من البحر الأبيض والأحمر والأسود[١].

ومع بداية القرن الثامن عشر الميلادي بدأت الدولة العثمانية تتبنَّى توجهًا جديدًا يتَّسم بالانفتاح الحذر على الغرب، وبدأت تظهر بوادر انبهار بالغرب تجلَّت في بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والمعمارية[٢]. وفي فترة التنظيمات، سعت الدولة العثمانية إلى استمالة الدول الغربية، عبر إعادة النظر في منظومتها القانونية والإدارية لتتوافق مع القوانين الغربية. وفي هذا الإطار أُصدر مرسوما التنظيمات: خط شريف گلخانه عام ١٨٣٩م، وخط همايون عام ١٨٥٦م. وتأكَّد فيهما تطبيق قانون المساواة وفق المفاهيم الغربية بين رعايا الدولة العثمانية من كل المذاهب، بالإضافة إلى مبدأ سيادة القانون[٣].

وبموجب تلك المراسيم، وفي سياق سعي الدولة العثمانية إلى إرضاء الدول الأوروبية وضمان عدم تدخلها، أُلغي نظام الجزية الإسلامي، في إطار إدماج غير المسلمين في منظومة الخدمة العسكرية، ومنع

---

١ خليل إينالجيق: **تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار**، ترجمة: محمد الأرناؤوط، بيروت، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٧٤.

٢ انظر: عبد الرازق بركات: **نصوص من الفكر الإسلامي**، القاهرة، دار الهداية، ٢٠١٠م، ص ٣١.

3 **Mümtazer Türköne**: Osmanlılar'da Islahat ve Teceddüt, Osmanlı Ansiklopedisi, İz yayıncılık, Istanbul, 1996, Cilt: 6, s. 33, 35.

كافة التعبيرات والألفاظ التي من شأنها التحقير من أي فرد غير مسلم، وكفالة حرية العقيدة الدينية بالنسبة لرعايا الدولة، وعدم إجبارهم على تبديل دينهم أو مذهبهم. وقبول غير المسلمين في مدارس الدولة المدنية والعسكرية، ومساواتهم في الوظائف مع المسلمين، وتمثيل غير المسلمين في مجالس الولايات والمجالس المحلية، والسماح للأجانب بتملُّك الأراضي[٤].

ورغم هذا التحول القانوني الواسع، لم تُسهم هذه الإصلاحات في الحد من التدخل الغربي في شئون الدولة العثمانية، بل وفَّرت في بعض الأحيان ذرائع جديدة لممارسته؛ فقد حاول الغرب ممارسة مزيد من الضغط على الدولة العثمانية عن طريق التدخل في شئونها بذريعة حماية الأقليَّات المسيحية فيها. وسعت القوى الغربية إلى تأجيج حالة من السخط الداخلي في بعض المناطق ذات الغالبية المسيحية، بما يؤدي إلى اضطرابات تُبرِّر مزيدًا من التدخل الخارجي.

وقد اضطلعت حملات التبشير المسيحية، ولا سيما الأمريكية منها، والتي تغلغلت داخل أراضي الدولة العثمانية، ومارست نشاطها بصورة قانونية عقب صدور مرسومي التنظيمات، بدورٍ مهم في هذا الشأن. وكانت الأداة الأكثر فاعلية التي استخدمتها تلك الحملات التبشيرية لأداء المهمة المنوطة بها، والمتمثلة في إضعاف الدولة العثمانية، هي إنشاء العديد من المؤسسات التعليمية في أماكن تجمع الأقليات العرقية والدينية في العديد من مدن وولايات الدولة.

وفي هذا الإطار يأتي بحثنا، الذي نسعى من خلاله إلى التعرف على ما نفَّذته الإرساليات التبشيرية الأمريكية من خلال مدارسها داخل أراضي الدولة، وأثَّر ذلك على إحدى أهم الأقليات في الدولة العثمانية، ونعني بها الأرمن، معتمدين في الوصول إلى هذه الغاية على المنهج التاريخي القائم على التحليل والتفسير، بالاستناد إلى المصادر والمراجع والدراسات المتعلقة بموضوع الدراسة.

وتنقسم الدراسة إلى مدخل ومبحثين؛ يُخصَّص المدخل الذي جاء تحت عنوان «الإرساليات التبشيرية في الدولة العثمانية: البدايات والانتشار»، لعرض مراسيم التنظيمات وأثرها في تسهيل النشاط التبشيري، ومجالات عمل حملات التبشير تلك وآلياتها في التوغل بين طبقات المجتمع العثماني، والتي تتمثَّل في المؤسسات الصحية والتعليمية ومراكز الإيواء والرعاية.

ثم يأتي المبحث الأول تحت عنوان «جهود المؤسسات التعليمية التبشيرية الأمريكية بين الأرمن: الوسائل والتأثير»، ونتناول فيه انتشار مؤسسات التعليم في مناطق تمركز الأرمن، والوسائل التي اتُّبعت لتحقيق ذلك، من قبيل مناهج الدراسة التي كانت تُلقَّن للطلاب في تلك المدارس، وتأثير ذلك على قطاعات واسعة من السكان الأرمن في الولايات العثمانية.

---

٤ للاطّلاع على نص فرمان خط همايوني وما ورد به من بنود تتعلَّق برعايا الدولة من غير المسلمين، انظر: محمد فريد: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م، ص ٢٥٦: ٢٦٠.

وجاء المبحث الثاني تحت عنوان «جهود الدولة العثمانية في مواجهة مؤسسات التعليم الأجنبي: الآليات والتطبيق»، وفيه رصد لأهم جهود الدولة العثمانية لمواجهة المدارس الأجنبية بشكل عام، ومدارس الإرساليات بشكل خاص، من قبيل إصدار القوانين واللوائح المختلفة، ومدى ما حققه ذلك من نجاح، ثم خاتمة تتضمن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة. والله تعالى من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

مدخل: الإرساليات التبشيرية في الدولة العثمانية: البدايات والانتشار:

في أعقاب الامتيازات التي منحها السلطان سليمان القانوني للفرنسيين، تمتَّع التجار الفرنسيون والإيطاليون بحرية الحركة داخل أراضي الدولة العثمانية، وهو ما أسهم في تسهيل نشاط المبشّرين وتوفير قدر كبير من الاستقرار لهم. وكانت بداية دخول الجزويت (اليسوعيين)[٥] Cizvit إلى بلاد الرافدين في عام ١٥٤٠م؛ ونتيجة لجهود اليسوعيين، اعتنق بعض المسيحيين السريان المذهب الكاثوليكي[٦]، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الدولة العثمانية هدفًا للمبشرين؛ ويرجع ذلك إلى ما تمتلكه الدولة العثمانية من موقع جيو-استراتيجي متميّز، يضم عددًا من المدن المقدسة لدى المسيحيين، ويتحكم في المضايق المهمة على البحرين الأسود والمتوسط، وأدى الصراع بين الدول الأوروبية إلى سعي كل دولة منها إلى توسيع نفوذها على الأراضي العثمانية[٧].

جاء ذلك في إطار مواجهة الغرب المسيحي، المتمثّل في أوروبا، للأتراك السلاجقة ثم العثمانيين بوصفهم ممثلين للإسلام، وهي المواجهة التي عُرفت تاريخيًا بـ«المسألة الشرقية». وهذه المواجهة تنقسم تاريخيًّا إلى مرحلتين، تمتد الأولى بين عامي ١٠٧١ : ١٦٨٣م، وتتلخص في عدة نقاط:

١) منع الأتراك من دخول الأناضول.

٢) إيقاف توسعهم داخل الأناضول.

٣) الحيلولة دون عبورهم إلى الروملي.

٤) منع تقدمهم إلى أوروبا عبر البلقان[٨].

في بداية هذه المرحلة، اعتمد الغرب على المواجهة العسكرية المباشرة من خلال الأحلاف والحروب،

---

٥ إحدى الفرق المسيحية، أسسها قسيس فرنسي يُدعى إنياس لايولا عام ١٥٣٤م. كان إنياس يتشدد في وجوب الطاعة بلا تردد لأحكام الدين، وبتقرير حكومة مطلقة يقودها ملك فرد، فكان يرمي في تعاليمه إلى جعل أتباعه أشبه بالجنود في ساحة المعركة، يجب عليهم الاستسلام لقائدهم. عرض إنياس على البابا مشروعه لتكوين طائفة دينية لنشر مبادئ الديانة الكاثوليكية وتأييد مركز الكنيسة الرومانية، وكان لايولا يرمي بهذه الجمعية إلى تحقيق غرضين؛ أولهما: هداية الكافرين إلى المسيحية، وثانيهما: تكوين جيش محارب لنصرة البابا. انظر: محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٠م، ص ١٠١ : ١٠٤.

6 **Mustafa Erdem**: Türkiye'de Azınlıklara Yönelik Misyoner Faalıyetleri, İslam İlim Araştırma vakfı, Istanbul, 2005, s. 272.

7 **Ayten Sezer**: Osmanlı'dan Cumhuriyet'e Misyonerlerin Türkiye'deki Eğitim ve Oğretim Faaliyetleri, Hacettepe Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Dergisi, Cilt: 16, 1999, s. 172.

8 **Hüseyin Canyaş**: Osmanlı'dan günümüze Misyonerlerin Kültürel Alandaki Faaliyetleri, Türklük Bilimi Araştırmaları, Sayı: 31, 2012, s. 58.

إلا أنه تعرّض لهزائم متكررة[٩]، الأمر الذي دفعه قبيل نهاية المرحلة إلى تبنّي سياسات ناعمة، تمثّلت في محاولة التأثير في الدولة العثمانية من الداخل، وتمثَّل ذلك في مجيء الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية من فرنسا؛ بسبب ما قدمه السلطان القانوني من امتيازات في القرن السادس عشر. وفي هذا السياق، افتتحت الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية، ولا سيما الفرنسية، مدارس لها لتحقيق أهدافها، وكانت أول مدرسة تبشيرية كاثوليكية فرنسية قد أُنشئت في ١٨ نوفمبر ١٥٨٣م بكنيسة القديس بينويت في حي غالاطه باستانبول. وكان ذلك التبشير الكاثوليكي الأسبق في الوصول إلى الأراضي العثمانية تحت إشراف مجمع الدعاية في الفاتيكان، وفق خطة محددة هدفت إلى تنظيم الحركة التبشيرية وتعظيم الاستفادة من جهود المبشّرين بما يضمن تحقيق أهدافها[١٠].

في عام ١٦٢٢م، وفي ظل سياسة التسامح الديني التي انتهجتها الدولة العثمانية، وبالتوازي مع التطورات السياسية في المنطقة، بدأ الرهبان اليسوعيون والمبشّرون القادمون من الفاتيكان ممارسة نشاطهم التبشيري المنظّم داخل أراضي الأناضول[١١].

وكان أحد الأهداف الرئيسة لهذه الحملات التبشيرية التركيز على الأقليات المسيحية المقيمة في مختلف ولايات الدولة العثمانية، والعمل على توجيهها بما يخدم الأهداف الدينية والسياسية للقوى الداعمة لتلك الحملات، والهادفة إلى فصلهم عن الامبراطورية ومساعدتهم على تشكيل دول مستقلة عن مركز الدولة، إضافة إلى التأثير على أولاد المسلمين في النواحي الدينية لاقتلاعهم من قوميتهم وملتهم[١٢].

أما المرحلة الثانية فكانت بين عامي ١٦٨٣ : ١٩٢٠م، وكانت تتخلص في:

١) تخليص الأمم والأقوام المسيحية في البلقان من الحكم العثماني.

٢) التدخل بذريعة طلب إصلاح أحوال المسيحيين داخل الدولة.

---

٩ استطاعت الدولة العثمانية أن تُحقق انتصارات كبيرة في جميع المعارك التي دخلتها ضد الأحلاف التي شكَّلتها أوروبا، في محاولتها لوقف تقدمها في أوروبا، ومثال ذلك معركة قوصوه الأولى (١٣٨٩م) في عهد السلطان مراد الأول، ومعركة نيكوبولي في عام ١٣٩٦م، وانتصر السلطان مراد الثاني في معركة قوصوه الثانية عام ١٤٤٨م، ونجح السلطان محمد الفاتح في فتح القسطنطينية والقضاء على الدولة البيزنطية عام ١٤٥٣م، وفتح السلطان القانوني بلجراد عام ١٥٢٠م. ولمزيد من التفاصيل حول تلك المعارك والانتصارات، انظر: محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مرجع سابق، ص ٤٤: ٨٥.

١٠ للوقوف تفصيلًا على السياسة التبشيرية التي اعتمدتها المجموعات الكاثوليكية وما كان يُنفذه الفاتيكان، انظر: إيمان عبد الرحمن هياجنه، حنان سليمان ملكاوي: «التبشير الفرنسي الكاثوليكي في ولاية الأناضول في القرن التاسع عشر النشاط التعليمي نموذجًا»، **دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد ٤١، ٢٠١٤م، ص ٧٣٢، ٧٣٣.

11 **Mustafa Erdem**: a.g.e., s. 272.

١٢ إيمان عبد الرحمن هياجنه، حنان سليمان ملكاوي: التبشير الفرنسي الكاثوليكي في ولاية الأناضول في القرن التاسع عشر النشاط التعليمي نموذجًا، مرجع سابق، ص ٧٣٠.

٣) طرد الأتراك والمسلمين الآخرين تمامًا من البلقان.

٤) انتزاع استانبول من يد الأتراك العثمانيين[١٣].

وفي المرحلة الثانية، مثّل التبشير إحدى أهم الوسائل التي اعتمد عليها الغرب لتعزيز نفوذه داخل الدولة العثمانية وتحقيق أهدافه السياسية والدينية، في إطار ما عُرف بسياسات التأثير غير المباشر. وساعد على هذا التوجّه ظهور جمعيات تبشيرية منظّمة، أُنشئت بهدف دعم جهود المبشّرين، وكان من أبرز هذه الجمعيات: (جمعية نشر المسيحية) التي تأسست في لندن عام ١٦٤٦م في إنجلترا. وسرعان ما شهدت هذه الجمعية انتشارًا واسعًا؛ إذ افتتحت ما يزيد على ألف فرع لها في عدد كبير من الدول. ومع بداية القرن التاسع عشر، ارتفع عدد فروع هذه الجمعية ليبلغ نحو سبعة آلاف فرع، وهو ما يعكس تصاعد الدور الذي لعبته الجمعيات التبشيرية في السياسة الأوروبية الخارجية[١٤].

شكّلت الامتيازات الأجنبية التي حصلت عليها الدول الغربية داخل الدولة العثمانية نقطة انطلاق رئيسة للنشاط التبشيري؛ فمن خلال الحقوق التي وفّرتها تلك الامتيازات –والتي جرى استعمالها وتفسيرها بالشكل الذي يوافق مصالح الدول التي حصلت عليها– افتتحت العديد من الدول مثل فرنسا وإنجلترا وإيطاليا وأمريكا مدارس بشكل غير قانوني، بعيدًا عن رقابة الدولة. وبدأت هذه المدارس في تنفيذ أهدافها بشكل حثيث؛ مما أدى إلى اكتساب تلك الدول تأثيرًا سياسيًّا إلى جانب التأثير الثقافي ونشر لغاتهم نفسها. وبفضل هذه المدارس أصبح لتلك الدول تأثير واضح على مجموعات معينة، وقد أوجد هذا بيئة مريحة وشروطًا ملائمة لتحقيق مكاسب لتلك الدول في شتى المجالات[١٥].

وقد اتَّبعت تلك الدول طريقتين لتحقيق كل هذه المكاسب، الأولى: حماية مدارس غير المسلمين، والثانية: تأسيس وافتتاح مدارس تابعة للدول نفسها، تُقدم خدمات تعليمية لنفس المجتمعات. وعن طريق هذين المسلكين، سعت إلى التأثير على المجتمع العثماني عبر تلك المدارس، مُستفيدة من النوايا الحسنة للإداريين والحكام العثمانيين، ومن قلة خبرتهم[١٦].

ولم يكن تأسيس تلك المدارس يحدث بشكل عشوائي؛ بل كان يسير وفق خطة مدروسة تُراعي التوزيع الجغرافي والبنية السكانية؛ فقد قسّم هؤلاء المبشرون أراضي الدولة العثمانية إلى أربع مناطق، هي: الجزء الأوروبي، والشرق، والغرب، والمركز. وكان نطاق التبشير في الجزء الأوروبي يضم فيليبه وسلانيك ومناستر. أما نطاق التبشير في الغرب، فيضم نواحي استانبول وإزميت وبورصة وميرزيفون وقيصري

13 **Hüseyin Canyaş**: a.g.e., s. 58, 59.

14 **Ayten Sezer**: a.g.e., s. 170.

15 **İlknur Polat Haydıroğlu**: Osmanlı impratorluğunda Yabancı Okulları, Kültür Bakanlığı, Ankara, 1990, s. 11.

16 **İlknur Polat Haydıroğlu**: a.g.e., s. 11.

وطربزون. أما المركز، فيضم المنطقة الممتدة من جنوب طوروس ووادي نهر الفرات، وقد أُعطي ثِقَلٌ خاص لمدينتي فيليبه وعينتاب. وتضم المناطق الشرقية خربوط وأرضروم ووان وماردين وتبليس وجميع أراضي شرق الأناضول الممتدة حتى روسيا وحدود إيران[١٧].

وقد أَوْلى المبشرون – سواء الكاثوليك أو البروتستانت – أهمية كبيرة للتعليم، ووجدوا فيه خير وسيلة لتسيير نشاطاتهم الأساسية؛ ذلك أن التعليم يُمثل القاطرة التي يُعاد من خلالها تشكيل وعي المجتمع وقناعات أفراده. وفي القرن التاسع عشر، ازداد عدد المدارس الكاثوليكية بشكل كبير وملحوظ، ولا سيما تلك التي أسسها رهبان وراهبات فرنسيو الأصل ينتسبون إلى جماعات وطوائف دينية مختلفة. وكان الرهبان والراهبات هم العمود الفقري للهيئة التعليمية في تلك المدارس، وإلى جانبهم عدد من السكان المحليين من الروم والأرمن والبلغار والمارون، إضافة إلى معلمين من الأتراك والانجليز والألمان[١٨].

وفي تقرير قدَّمه ناظر المعارف زهدي باشا إلى السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٨٩٤م ورد فيه: «إنه من غير الممكن تقديم إحصاء دقيق عن المدارس والمؤسسات التبشيرية في الدولة العثمانية». ومع ذلك، ذكر التقرير أن عدد المدارس البروتستانتية بلغ وحدها ٤١٣ مدرسة، وذلك في وقت كان عدد مدارس الأقليات في البلاد لا يقل عن ٤٥٤٧ مدرسة، منها ٤٠٤٩ مدرسة غير مرخصة[١٩]. وفي إحصاء رسمي لعام ١٨٩٧م، ازداد عدد مدارس الأقليات حتى بلغ ٦٧٣٩ مدرسة، كان منها ٦٢٤ مدرسة تبشيرية، يدرس بها ٢٧,٤٠٠ طالبًا[٢٠]. وفي عام ١٩١٣م، ازداد عدد مدارس الأقليات مرة أخرى حتى بلغ ١٣٠١٨ مدرسة[٢١].

وعند مقارنة أعداد المدارس الأجنبية بين عامي ١٨٧٠: ١٨٩٠م يتضح لنا ثقل وحجم جهود التبشير الأمريكي، مُمثلاً في المدارس التي أنشأها؛ فعدد المدارس الفرنسية كان ٧٢ مدرسة، والإنجليزية ٨٣ مدرسة، والنمساوية سبع مدارس، والألمانية سبع مدارس، والإيطالية ٢٤ مدرسة، والروسية ٤٤ مدرسة، والإيرانية مدرستين، واليونانية ثلاث مدارس؛ أما الأمريكية فكان عددها ٤٦٥ مدرسة. ويُشير هذا الفارق الضخم بين تلك المدارس إلى اهتمام الولايات المتحدة بالدولة العثمانية، وسعيها إلى تحقيق أهداف استراتيجية في تلك البلاد، وتعويض ما فاتها من وقت في العمل فوق الأراضي العثمانية لصالح الدولة

17 **Ayten Sezer**: a.g.e., s. 174.

١٨ إيمان عبد الرحمن هياجنه، حنان سليمان ملكاوي: التبشير الفرنسي الكاثوليكي في ولاية الأناضول في القرن التاسع عشر النشاط التعليمي نموذجًا، مرجع سابق، ص ٧٣٧.

١٩ فاضل بيات: **المؤسسات التعليمية في الشرق العربي العثماني**، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠١٣م، ص ٦٧٦.

20 **Remzi Kılıç**: Misyonerlik ve Türkiye'ye Yeyönelik Misyoner Faalıyetleri, Türklük Bilimi Araştırmaları, Sayı: XIX, 2006, s. 337.

21 **Hüseyin Canyaş**: a.g.e., s. 56.

الأوروبية التقليدية: فرنسا وإنجلترا وروسيا[٢٢].

لذا يمكن القول إن مدارس التبشير، وخاصة البروتستانتية منها، قد شكّلت أداة مهمة استخدمتها الدول الغربية بأفضل صورة ممكنة في جهود التنصير الهادفة إلى تغيير بنية الدولة العثمانية؛ بما يمهد الطريق لاستعمارها، ثم تقسيمها لاحقًا. وكانت الوسيلة الأمثل في تلك الجهود المنظمة هي التأثير في الأقليات، وحثّها على تغيير قناعاتها وتطلعاتها، ودفعها إلى التمرد والسعي إلى فرض واقع جديد بالقوة، في محاولة منها للانفصال عن الدولة العثمانية. ولعل الأرمن كانوا أحد أهم تلك الأقليات التي تأثرت بشدة بجهود تلك المدارس، وهو ما سنحاول عرضه في الصفحات التالية.

22 **Süleyman Büyükkarcı**: İngiliz Okulları ve Tarihi Gelişimi. Selçuk Üniversitesi Türkiyat Araştırmaları Dergisi (6, 1999), s. 151.

المبحث الأول: جهود المؤسسات التعليمية التبشيرية الأمريكية بين الأرمن: الوسائل والتأثير:

كان الأرمن من أكثر الأقليات تميزًا في الدولة العثمانية منذ دخولهم تحت حكم الدولة العثمانية؛ فعقب فتح القسطنطينية نَعِم الأرمن برعاية السلطان محمد الفاتح ومساعدته، فكانوا من أرقى العناصر وأصدقها وأشدها ولاء وإخلاصًا وأكثرها نفعًا. وكان لهم نفوذ واسع في الأسواق المالية والتجارة والصناعة، واشتهرت منهم أسر عديدة قدمت للدولة العثمانية أجلَّ الخدمات، أمثال: باليان ودوزيان وداديان، واشتهر الأمير قزازيان بأنه كان من أقرب الأصدقاء للسلطان محمد الفاتح. وظل الأرمن يتمتعون بتلك المكانة في بنيان الدولة الاجتماعي، حتى إنهم عقب إصدار مرسوم التنظيمات (١٨٥٦م) في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩: ١٨٦١م) سنّوا قانونًا لإدارة أمورهم الداخلية يمنحهم حق تشكيل مجلس نواب من ممثلي الأرمن في الولايات والعاصمة، ويُنتخب من بينه مجلس تنفيذي يعمل تحت سيطرته، ويشرف هذا المجلس على سائر أمور الأرمن، وكان ذلك يُعدّ شكلًا من أشكال الاستقلال الذاتي (دولة داخل الدولة)، لكن السلطان عبد المجيد صادق في ٢٧ أكتوبر ١٨٦٢م على تنفيذ ذلك القانون[٢٣].

ولكن بدأ هذا الحال في التغير مع قدوم الإرساليات التبشيرية؛ إذ سعى المبشرون إلى فهم النظام السياسي والبنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات التي يمارسون فيها نشاطهم التبشيري. وكان لجهود المبشرين هدفان، الأول: ديني، وينقسم إلى شقين، هما: تحويل المسلمين عن دينهم، وتحويل المسيحيين من المذاهب المختلفة إلى الكاثوليكية أو البروتستانتية؛ والهدف الثاني: سياسي، ويتمثل في تحريك غير المسلمين والمجموعات العرقية وإثارتهم بهدف تقسيم الدولة أو إضعافها[٢٤].

ولعل فشل المبشرين في تحقيق الشق الأول من هدفهم هو ما دفعهم إلى التركيز على الشق الثاني، والمتمثل في دفع مسيحيي الدولة العثمانية من سائر المذاهب إلى اعتناق الكاثوليكية والبروتستانتية؛ فغالبية من ارتدّ عن الإسلام – وهم قليلو العدد للغاية – كانوا من غير المسلمين أصلًا، أي كانوا مسيحيين بالأساس، دخلوا الإسلام ثم ارتدوا إلى المسيحية بعد فترة من الزمن، وحدث ذلك في معظم الأحيان أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[٢٥]. ولعل إرهاصات هذا الأمر التي ظهرت في فترة مبكرة هي ما دفعت المبشر الأمريكي إيلي سميث للقول بعد جهد تبشيري استمر لعامين (١٨٣٠: ١٨٣١م): «إنه لا أمل في إمكانية تنصير الأتراك، والسبيل الوحيد الممكن للدخول إلى قلب أراضي العدو يتمثل في العمل بين المسيحيين الساكنين فوق تلك الأراضي»[٢٦].

---

٢٣ كريكور إبراهيم استارجيان: **تأريخ الأمة الأرمنية**، الموصل، مطبعة الاتحاد الجديدة، ١٩٥١م، ص ٢٦٦: ٢٦٩.

24 **Zeki Salih Zengin**: II. Abdülhamit Döneminde Yabancı ve Azınlık Mekteplerinin Faaliyetleri, Belleten, Agustos 2007, Cilt: 71, Sayı: 261, s. 613.

25 **Bkz Halide Aslan**: Tanzimat Döneminde Dinî Değişim Halleri: İhtida-Gizli Din-Tanassur ve Osmanlı, Toplum Bilimleri , Temmuz - Aralık 2012 , s. 68: 71.

26 **Mustafa Erdem**: a.g.e., s. 275.

وهذا التأثير الذي سعى المبشرون إلى تحقيقه في بنية الدولة العثمانية يمكن أن نتناوله في بُعدين، الأول: البعد الثقافي، وهو ضروري من أجل تكوين مجموعات وسيطة داخل الدولة؛ لتتولى تنفيذ الفعاليات ونشر مذهب الدول التي أرسلت هؤلاء المبشرين. والثاني: البعد المعرفي والديني، ويكتسب أهميته من نشاط الإرساليات التبشيرية التي كانت تنشر الدين، وتُدخل المعارف الغربية إلى الدولة العثمانية من خلال قناة مهمة، تتمثّل في المدارس التبشيرية[٢٧].

وعلى الرغم من تعدد وسائل المبشرين داخل الدولة العثمانية كفتح الكنائس والجمعيات الخيرية والمطبعة وعلاج المرضى؛ إلا أن التعليم المتمثل في المدارس كان شرطًا أساسيًّا بالنسبة لهؤلاء المبشرين، لا يمكنهم تحقيق أهدافهم الرئيسة دون وجوده والنفاذ من خلاله. ولهذا السبب استطاع المبشرون الأمريكان والإنجليز والفرنسيون من خلال هذه المدارس – التي تحولت إلى مستعمرات داخل أراضي الدولة – تكوين أرضية فكرية حاضنة لهم داخل الدولة. وقد أصبحت هذه المدارس من أقوى الأسلحة في يد قوى الغرب ضد الدولة العثمانية[٢٨].

وعلى الرغم من أن التبشير البروتستانتي كان آخر موجات التبشير التي تعرضت لها الدولة العثمانية، إذ بدأ في فترة متأخرة من عمر الدولة في بدايات القرن التاسع عشر، فإنه كان أكثرها تأثيرًا. فبعد أن وقعت الدولة العثمانية ضمن حصة مبشري الولايات المتحدة الأمريكية عندما جرى تقسيم مناطق النشاط التبشيري بين المنظمات والمجموعات البروتستانتية، تولت العمل على أراضيها منظمتان كبيرتان:

الأولى: مجلس المفوضين الأمريكي للإرساليات الخارجية American Board of Commissioners for Foreign Mission (ABCFM)،

والثانية: مجلس الإرساليات الأجنبية للكنيسة المشيخية Board of Foreign Missions of the Presbyterian Church (BFMP)[٢٩].

وقد تشكّل مجلس المفوضين الأمريكي في عام ١٨١٠م، وأضحى ذلك المجلس من أهم الهيئات التبشيرية التي نشطت في عموم الدولة العثمانية، واتَّخذ من مدينة بوسطن مقرًا له[٣٠]. في حين ركز مجلس الإرساليات

---

27 **Hüseyin Canyaş**: a.g.e., s. 62.

28 **Sezen Kılıç**: Cumuriyet Döneminde Yabancı Okullar 1923: 1938, Atatürk Araştırma Merkezi, Ankara, 2005, s. 268.

29 **Ebru Esenkal**: Yabancı Ülkeler tarafından Osmanlı Coğrafyasında Açılan Okullar, Yükesk Lisans Tezi, Edirne Trakya Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2007, s. 110.

٣٠ هشام سوادي هاشم: «**من صور التواصل الحضاري بين الشرق والعالم الإسلامي: المدارس الأمريكية في الدولة العثمانية**»، بحث أُلقي في مؤتمر فيلادلفيا الدولي الرابع عشر الذي نظَّمته جامعة فيلادليفا في عمان تحت عنوان «ثقافة التواصل» في الفترة بين يومي ٣: ٥ نوفمبر ٢٠٠٩م. منشور على شبكة المعلومات الدولية، ص ٢.
https://2u.pw/gddwu

الأجنبية للكنيسة المشيخية جهوده في سوريا ولبنان، وبدأت المنظمتان العمل معًا في عام ١٨٧٠م[٣١].

وقد تولى جيمس برتون James Barton رئاسة ذلك المجلس، وأصبحت الدولة العثمانية أولى الدول التي استهدفها برتون، ويرجع السبب في ذلك إلى سعي الولايات المتحدة للحصول على مكانة اقتصادية وعسكرية وسياسية في الشرق الأوسط، وهو ما لا يمكن أن يتحقق دون استهداف الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على تلك المنطقة الجغرافية[٣٢].

وكان أول ظهور للمبشرين الأمريكان في الدولة العثمانية قد حدث في ١٤ يناير عام ١٨٢٠م، عندما وصل اثنان من المبشرين الأمريكيين، هما: ليفي بارسونز Levi Parsons، وبليني فيسك Pliny Fisk إلى مدينة إزمير، واتَّخذا منها أول مركز تبشيري أمريكي في الدولة العثمانية. وحال وصولهما شَرَعا في القيام برحلات عديدة إلى مناطق مختلفة من الدولة العثمانية، وزَّعا خلالها الكتاب المقدس مترجمًا إلى اللغات المحلية، بعد أن تولَّت طبعه جمعية الكتاب المقدس البريطانية في لندن[٣٣]. وشهد عام ١٨٢٤م تأسيس أول مدرسة إرسالية تبشيرية أمريكية على أراضي الدولة العثمانية، وكان ذلك في إحدى الولايات التابعة للدولة، وهي ولاية بيروت[٣٤].

ولعبت العلاقات بين الدولة العثمانية وأمريكا دورًا مهمًا في تسهيل عمل الإرساليات التبشيرية؛ إذ جرى في ٧ مايو ١٨٣٠م توقيع معاهدة التجارة وسير السفن بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة. وبعد تلك الاتفاقية بدأ الحضور الأمريكي في الدولة العثمانية في ترسيخ وجوده، ولا سيما في قطاعي التبشير والتعليم. وكانت الامتيازات الاقتصادية أحد أسباب حدوث هذا الأمر، فقد كانت الأعوام التي شهدت توقيع الاتفاقيات التجارية (١٨٣٠: ١٨٦٢م) هي الفترة التي استقرت فيها حركة التبشير وتوسعت في الدولة العثمانية[٣٥]. وعقب تلك المعاهدة شهدت مدينة استانبول افتتاح أول مدرسة أمريكية بها، وكان ذلك في حي بي أوغلو عام ١٨٣٢م. ولكنها ما لبثت أن أُغلقت من قِبَلِ الباب العالي؛ بسبب ضغوط البطريركية الأرمينية، بذريعة أنها قد تُفسد العقول[٣٦].

---

31 **Ebru Esenkal**: a.g.e., s. 110.

32 **Levent Çörekli**: ABD'nin Osmanlı Topraklarında Misyonerlik Faaliyetleri ve Ermeniler, Bellek Uluslararası Tarih ve Kültür Araştırmaları Dergisi, Cilt: 5, Sayı: 1, 2023, s. 7.

٣٣ هشام سوادي هاشم: من صور التواصل الحضاري بين الشرق والعالم الإسلامي: المدارس الأمريكية في الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٢.

34 **Uygur Kocabaşoğlu**: Doğu Sorunu Çevresinde Amerikan Misyoner Faaliyetleri, Tarihi Gelişmeler İçinde Türkiye'nin Sorunları Sempozyumu, TTK Basımevi, Ankara, 1992, s. 68.

35 **Gökhan Özeren**: ABD'nin Ermeni Politikası 1890: 1920, Yüksek Lisans Tezi, Kadir Has Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Istanbul, 2009, s. 22.

36 **Yavuz Güler**: Osmanlı Devleti Dönemi Türk – Amerikan İlişkileri (1795: 1914), Gazi Üniversitesi Kırşehir Eğitim Fakültesi, Ankara, 2005, Cilt: 6, Sayı: 1, s. 233, 237.

واستفاد المبشرون الأمريكان من الحرية التي وفرها فرمان التنظيمات (١٨٣٩م)، وفرمان الإصلاح (١٨٥٦م)، فقد سرّعوا من نشاطهم وأسسوا مراكز تبشير في عينتاب عام ١٨٤٨م، وفي عرب گير عام ١٨٥٠م، وفي طوقات وقيصري عام ١٨٥٣م، وفي مرعش وحلب وسيواس وخربوط عام ١٨٥٤م، وفي أورفة وأنطاكية وأزميت عام ١٨٥٥م، وفي الموصل وديار بكر عام ١٨٥٦م، وفي ماردين وبتليس وأدرنة عام ١٨٥٧م، وفي أضنة عام ١٨٦٣م[٣٧].

وكان الأرمن في الدولة العثمانية هم الشريحة التي استهدفها المبشرون الأمريكان، لتحويلهم إلى المذهب البروتستانتي؛ إذ بدأوا في عام ١٨٤٠م في توزيع الإنجيل مترجمًا إلى اللغة الأرمينية لنشر مبادئ البروتستانتية. ورغم معارضة الطوائف الأخرى فإن جهود هؤلاء المبشرين استمرت واستطاع المبشرون البروتستانت تأسيس محطة لهم في أزميت عام ١٨٥٦م[٣٨].

كما لعب المال دورًا مهمًا في جهود المبشرين الأمريكان لتحويل الأرمن إلى المذهب البروتستانتي؛ فنجد إحدى الوثائق العثمانية تتحدث عن أن انتقال الأرمن إلى المذهب البروتستانتي يأتي نتيجة طبيعية لتقديم المبشرين الأمريكان إعانات مالية للأرمن. وكان من نتيجة ذلك الأمر انتقال خمسة عشر أرمنيًّا من أتباع الكنيسة الجورجية الأرمنية إلى المذهب البروتستانتي[٣٩].

أما الوسيلة الأمثل لتحقيق ذلك الهدف، فكانت تأسيس المدارس لجذب أطفال الأرمن واستعمال وسائل حديثة لتعليمهم وترغيبهم في التعليم. وافتُتحت مدارس في العديد من المدن العثمانية في استانبول وإزمير وبورصة وطربزون. وأبدى الأرمن مقاومة لهذه المدارس في بداية الأمر، ثم ما لبثت أن أصبحت أمرًا واقعًا. فعلى سبيل المثال كانت مدرسة البنات التي افتتحها المبشرون في إزمير عام ١٨٣٨م تدرس بها أربعون طالبة، أما المدرسة الأخرى في بورصة تدرس بها سبعون طالبة[٤٠].

ومرة أخرى ظلت المدارس أهم المؤسسات في نشر ثقافة هؤلاء المبشرين، حيث أن التركيز على المؤسسات التعليمية يُمكّن المبشرين من التغلغل في المجتمعات وغرس أفكارهم في أذهان الأطفال وغير المتعلمين، ومن ثمَّ تنصير المسلمين واليهود إن استطاعوا، وتحويل نصارى المنطقة عن مذاهبهم المتعددة إلى المذهب البروتستانتي، لا سيما وأن الدولة العثمانية كانت في القرن التاسع عشر تُعاني من نقص شديد

37 **Yavuz Güler**: a.g.e., s. 237.

38 **Özgür Yıldız**: İzmit'te (Nicomedia) Amerikan Misyoner Faaliyetleri, Gazi Akademik Bakış, Cilt: 5, Sayı: 10, 2012, s. 97: 99.

٣٩ انظر: الأرشيف العثماني وثيقة رقم DH.TMIK.M، وهي عبارة عن ترجمة ملخص المحرر الوارد من سفارة الدولة العثمانية في واشنطن بتاريخ ٢٩ مايس ١٨٩٦ رومي. وثيقة رقم (١).

40 **Uygur Kocabaşoğlu**: Kendi Blegeleriyle Anadolu'daki Amerika 19. Yüzyılda Osmanlı İmpartorluğu'ndaki Amerikan Misyoner Okulları, Arba yayınları, Istanbul, 1989, s. 60, 61.

في أعداد المدارس وتفشي الأمية[٤١].

لذا نجد أن المدارس التي أسّسها المبشرون داخل المؤسسات الكنسية كانت ترسل الطلاب الأرمن إلى معهد اللغات الشرقية الحية الذي تأسس في باريس عام ١٨١١م، وإلى معهد لازاريان الذي تأسس في موسكو عام ١٨١٦م، وإلى الحلقة الدراسية التي تأسست في معهد نرسيسيان في تفليس عام ١٨٢٣م. وقد أسهمت هذه الأنشطة في توفير المناخ لإحياء الثقافة الأرمينية من جديد، وأخرجت المجتمع الأرمني من موقع الملة الصادقة Millet-i Sadıka كما كان يطلق عليه في أوقات سابقة[٤٢].

وفي عام ١٨٥٠م تشكلت جماعة بروتستانتية واعتُرف بها ضمن نظام الملل العثماني[٤٣]، وأصبح لها حق اختيار رئيس يُمثل مصالح الملة البروتستانتية الجديدة في استانبول. وسهل ذلك الوضع الجديد من عمل المبشرين الأمريكان على أراضي الدولة العثمانية، ويدل على ذلك عدد الإرساليات التبشيرية الأمريكية في الدولة العثمانية الذي بلغ ٢١ إرسالية في عام ١٨٦٩م، وكانت تُدير ١٨٥ مركزًا تبشيريًا، وارتفع عددها في نهاية القرن التاسع عشر لتصل إلى ٣٠ إرسالية، تملك ١٥ مركزًا رئيسيًا، و٢٥٤ مركزًا ثانويًا مساعدًا[٤٤].

وبالتوازي مع هذا الجهد الدعوي، ازدادت في نفس الفترة أعداد مدارس التبشير الأمريكية ازديادًا ملحوظًا؛ ففي نهاية القرن التاسع عشر كان هناك ٣٧٨ مدرسة ابتدائية أمريكية يدرس بها ١٤٤١٤ طالبًا، و٣٣ مدرسة متوسطة يدرس بها ٢٦٠٠ طالب، وثلاث مدارس لاهوتية يدرس بها ٢٢ طالبًا، وثلاثة معاهد يدرس بها ٥٢٠ طالبًا، بإجمالي عدد ٤١٧ مدرسة يدرس بها ١٧,٥٥٧ طالبًا[٤٥]. وفي عام ١٩٠٥م ارتفع عدد تلك المدارس مرة أخرى ليصل إلى ٤٦٥ مدرسة، وعدد الطلاب ليصل إلى ٢٢٨٦٧ طالبًا[٤٦].

---

٤١ عامر بلو إسماعيل: «التعليم التبشيري الأمريكي منذ آواخر العهد العثماني حتى عام ١٩٣٢م»، **مجلة التربية والعلم**، جامعة الموصل، العدد ٢، المجلد ١٦، ٢٠٠٩م، ص ٦١.

42 **Ebru Esenkal**: a.g.e., s. 31.

٤٣ احتضنت الدولة العثمانية مجموعات كبيرة من البشر ينتسبون إلى أديان ومذاهب متعددة. وقد استطاعت أن تحكم هذه المجموعات مُقسِّمة إياهم وفق الأديان والمذاهب التي ينتسبون إليها. وكانت كل واحدة من الجماعات أو الطوائف الدينية تنتخب رئيسها بنفسها، وكانت الدولة تعترف بهذا الفرد المنتخب كحاكم وزعيم لهذه الجماعة. ولتأكيد هذا الأمر، فإن هذه الجماعات كانت تحصل على براءات من الدولة تُعطي لها الحق في تنظيم قوانينها وتقاليدها ومؤسساتها التعليمية بشكل مستقل، كأنها دولة داخل الدولة، وعُرف هذا النظام باسم «نظام الملة». انظر:
أحمد حكمت أر أوغلو: **اليهود في الدولة العثمانية حتى نهاية القرن التاسع عشر**، ترجمة وتقديم: أحمد عبد الله نجم، القاهرة، أركان للدراسات والأبحاث والنشر، الطبعة الثالثة، ٢٠٢١م، ص ٨٩.

٤٤ هشام سوادي هاشم: من صور التواصل الحضاري بين الشرق والعالم الإسلامي: المدارس الأمريكية في الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٥.

45 **Tahsın Fendoğu**: Amerika Birleşik Devletlernin Misyonerleri ve Osmanl Devleti, Türkler Ansiklopedi, Yeni Türkiye Yayınları, Ankara, 2002, Cilt: 14, s. 193.

46 **Ebru Esenkal**: a.g.e., s. 112.

ومع الوقت أصبح تأثير تلك المدارس أكبر حتى من جهود هؤلاء المبشرين في المجال الديني؛ فقد تولَّى خريجو تلك المدارس وظائف في الدولة، وكان منهم المدرسون والوعاظ، وانعكس ما درسوه من مناهج باللغة الأرمينية، وخاصة الأدب الأرميني، على نمو الحس القومي والشعور الانفصالي لدى هؤلاء الأفراد في فترات تالية[٤٧].

واستطاعت تلك المدارس التي انتشرت حتى القرى في الدولة العثمانية أن تبذر بذور الصراع بين مكونات المجتمع التي عاشت معًا لفترات طويلة، وقد أسفرت جهود التبشير تلك عن زيادة الرغبة لدى الأقليات في إحياء لغاتهم ولهجاتهم والتعلم بلغة أجنبية، وشعورهم بالتمايز تجاه جيرانهم من المسلمين في القرى والأماكن التي يعيشون فيها، ونفورهم من الوضع الذي يعيشون فيه. وأدى هذا إلى تغذية المشاعر القومية بين شباب الأرمن، وإلى بروز توجهات معارضة للحكم العثماني، ثم ظهور مطالبات بالاستقلال على المدى الطويل[٤٨].

وفي تلك المدارس الأولية الأمريكية التبشيرية كان التعليم يتركز باللغة الأرمينية على يد مدرسين من السكان المحليين من الأرمن البروتستانت. أما الدرجة الوسطى من تلك المدارس فكانت لغة التعليم الأساسية هي الإنجليزية، وكان جميع المُدرسين تقريبًا من المبشرين الأمريكان. وتُستقدم كتب الدراسة من أمريكا، بحيث كان لهذه المدارس ماهية المدارس الأمريكية بصورتها الكاملة، وتحمل الصبغة التبشيرية التي كانت يهدف إليها التبشير الأمريكي بالأساس[٤٩].

وعند مقارنة تلك التوجهات التي كانت تحكم العملية التعليمية في مدارس الإرساليات، والدروس التي تُقدم في المدارس الأرمينية في فترة ما قبل التنظيمات والتي كانت تقتصر على دروس النحو في اللغة الأرمنية، وقواعد الديانة المسيحية والقراءة والكتابة وعمليات الحساب الأربع، إلى جانب اللغة التركية. وكان هذا التعليم يُنفّذ في مؤسسات تمتاز بالبساطة؛ إذ كانت عبارة عن حجرة بسيطة بجوار إحدى الكنائس يُدرِّس فيها أحد القساوسة[٥٠]. ويمكن إدراك بُعد المسافة بين تعليم يأتي في إطار التعايش السلمي بين مكونات المجتمع العثماني، وبين مناهج دراسية صيغت على يد قوى أجنبية، لإحداث نوع من التنافر والتعارض بين مكونات ذلك المجتمع، حيث كانت تركز بالأساس على الأقليات المسيحية بحسبانها مشروعات لدول مستقلة؛ مما أدّى – على المدى الطويل – إلى إضعاف الدولة وتقليص نفوذها.

47 **Özgür Yıldız**: İzmit'te (Nicomedia) Amerikan Misyoner Faaliyetleri, Gazi Akademik Bakış, Cilt: 5, Sayı: 10, 2012, s. 104.

48 **Mustafa Erdem**: a.g.e., s. 288.

49 **Uygur Kocabaşoğlu**: a.g.e., s. 25.

50 **Macit Kenanoğlu**: Osmanlı İmparatorluğu'nda Gayrimüsliınlerin Eğitimi Üzerine, Türkiye Araştrmalar Literatür Dergisi, Cilt: 6, Sayı: 12, 2008, s. 182.

وحتى يتمكن التبشير الأمريكي من استكمال حلقة التأثير على وعي الأجيال الناشئة في الدولة العثمانية عن طريق التعليم، سعى إلى إنشاء مؤسسات تعليمية أخرى تقبل الطلاب المسلمين من أبناء الطبقة العليا، مُستغلًا رغبة هؤلاء المسلمين في حصول أبنائهم على تعليم جيد وإتقان اللغات الأجنبية بشكل متميز. وكان من أهم تلك المدارس معهد روبرت الذي تأسس في استانبول عام ١٨٦٣م. وكان التركيز على تلك الشريحة من المجتمع يضمن تغلغل خريجي هذا المعهد الأمريكي، ومن قبله المدارس الأجنبية الأمريكية في مفاصل الدولة والتأثير فيها[٥١].

ولعل إنشاء معهد روبرت قد جاء في إطار توزيع أدوار العمل التبشيري على كامل مساحة أراضي الدولة؛ فاختيار الأناضول كساحة لعمل المبشرين الأمريكان يرجع إلى الاستقرار والترف الذي كان يتمتع به الأرمن من سكان استانبول، على عكس الحال في الأناضول. لذا كانت إثارة مثل هذه النعرات القومية والتطلعات لدى قطاع عريض من سكان هذه المناطق أيسر بالنسبة لهؤلاء المبشرين. وجاء تأسيس كلية روبرت في استانبول ليخاطب الشريحة العليا من المجتمع، سواء من المسلمين أو من غيرهم، وليس على سبيل غرس التطلعات القومية أو تحويل الولاءات الوطنية؛ بل على اعتبار أن هذه الفئة من الطلاب سوف تتولى مقاليد الأمور في الدولة التي يريد المبشرون أن تُغير وجهتها وهويتها. لذا قدمت كلية روبرت نفسها في ثوب علماني يحتضن المسلمين وغيرهم معًا داخل أسوارها في قاعات الدراسة.

وبعد عام ١٨٨٠م أُعطيت أهمية لمثل هذا التعليم العلماني، وجرى تطويره وتوسيعه. وكان الكثير من الخريجين من الشباب الأرمن يُرسلون إلى الولايات المتحدة الأمريكية لاستكمال تعليمهم، وأكثرهم حصل على الجنسية الأمريكية[٥٢]. ويُدلِّل على ذلك تزايدُ هجرة الأرمن إلى الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة؛ فحتى عام ١٨٩٩م بلغ مجموع من هاجر من الأرمن ٣٧٩٦٢ فردًا. أما بين عامي ١٩٠٥: ١٩١٥م، فقد هاجر ٤٦٨ ,٣٦٧ فردًا من الدولة العثمانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأسباب سياسية واقتصادية، كان ٥٪ منهم فقط من الأتراك، والبقية من الأرمن[٥٣]. وكان الهدف من دفع الأرمن المتعلمين جيدًا هو تمكينهم من المشاركة بسهولة أكبر في الأنشطة التحريضية في الجغرافيا العثمانية بعد حصولهم على مكانة مميزة كمواطنين أمريكيين، كما جرى من خلالهم توجيه الرأي العام نحو أهدافها الخاصة من خلال الدعاية ضد الدولة العثمانية في الرأي العام الأوروبي والأمريكي، بالقول إن: «الأتراك يضطهدون

---

٥١ كانت الخلفية الاجتماعية للأطفال الذين يدرسون في هذا المعهد من العثمانيين حتى عام ١٩١٩م على النحو التالي: واحد من أبناء الأسرة الحاكمة، ١٧ من أبناء موظفي الطبقة العليا، ٤٢ من أبناء موظفي الدولة، ١٥ من أبناء العسكريين، ١٢ من الماليين ورجال البنوك، خمسة من أبناء الحرفيين، ٤١ من أبناء التجار، أربعة من مديري القطاع الخاص، وخمسة من رجال الأعمال. انظر:

Elif Evrim Şencan: Robert Kolej'de okuyan Türk öğrencilerin sosyal arka planları (1863: 1971), Yakın Dönem Türkiye Araştırmaları, Cilt: 17, Sayı: 33, 2018, s. 50.

52 **İlknur Polat Haydıroglu**: Osmanlı impratorluğunda Açılan Amerikan Okullar Üzerine bir İnceleme, Cilt: 52, Sayı: 203, 1988, s. 635.

53 **Tahsın Fendoğu**: a.g.e., s. 194.

الشعب المسيحي»[٥٤].

ويكفي للتدليل على مدى اهتمام التبشير الأمريكي بالدولة العثمانية وتزايده باستمرار أن حجم ما أنفقه مجلس المفوضين الأمريكي للإرساليات الخارجية قد تجاوز ثلاثة عشر مليون دولار بين عامي ١٨١٩: ١٩١٤م. كان نصيب مناطق الأناضول ذات التواجد السكاني الأرمني ما يزيد عن خمسة ملايين دولار في الفترة بين عامي ١٨٧١: ١٩٠١م فقط. وهذه النفقات كانت في ازدياد؛ حيث زادت في عام ١٩٠١م بنسبة ٤٦٪ مقارنة بعام ١٨١٩م[٥٥]. وفي هذا الإطار، بدأ المبشرون الأمريكان، منذ عام ١٨٥٠م إصدار جرائد ومجلات باللغة الأرمينية في مناطق تواجد الأرمن، كما حدث في مدينة غازي عينتاب على سبيل المثال، وهي المدينة التي شهدت وحدها إصدار أربع جرائد ومجلة باللغة الأرمينية[٥٦].

وفي نهاية هذا الجهد المنظم والمدعوم ماديًّا أثمرت جهود المبشرين عن تحقيق أمرين، تمثّل الأول في نشر المذهب البروتستانتي (مذهب المبشرين)؛ حيث زادت أماكن عبادتهم في مدن الأناضول المختلفة، وارتفع عدد الكنائس البروتستانتية في الأناضول من أربع كنائس في عام ١٨٤٦م إلى ١١٢ كنيسة في عام ١٩٠٠م، وازداد عدد أعضاء تلك الكنائس من ١٠٥ عضوًا إلى ١٠,٩٨٠ عضوًا في نفس الفترة[٥٧].

أما الأمر الثاني، فتمثل في التأثير على الأقليات، وعلى رأسها الأرمن والبلغار واليونان، في محاولة لفصلهم عن الدولة العثمانية. وفي هذا الجانب تولت المدارس التبشيرية توفير إطار فكري لبعض الحركات الأرمنية المعارضة، والمساهمة في تكوين كوادرها. وأصبحت بعض المدارس الأرمنية تُمثل محاضن للفكر القومي الانفصالي الذي أخذ في التسارع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، سواء في المؤسسات الكنسية أو التعليمية. وتشير بعض الوثائق إلى صدور توجيهات من قادة أرمن في الخارج تشدد على عدم إرسال الأطفال الأرمن إلى مدارس الدولة، حتى إن بعض الوثائق أشارت إلى أن المدارس كانت تنظم سحوبات اليانصيب لجمع التبرعات لمساعدة المنظمات الأرمنية المتطرفة[٥٨].

كما أن الكثير من الأرمن الشبان من خريجي المدارس الخاصة بالمبشرين البروتستانت الأمريكان كان لهم آراء ذات صبغة عالمية مغايرة؛ فعلى الرغم من أنهم لم يتحولوا إلى المذهب البروتستانتي، فإنهم كانوا أصحاب بنية فكرية ناقدة تتطلع إلى الاستقلال، تكونت من خلال التعليم الأمريكي. ونظر هؤلاء الشبان إلى الدولة العثمانية ومؤسسات الجماعة الأرمنية التقليدية على أنها رجعية اعتراها الجمود والفساد. وبعد عام ١٨٨٠م عُيِّن الكثير من شباب الأرمن من هذا الجيل كمدرّسين في مدارس الجماعة الأرمنية، ولم تتمكن

54 **Levent Çörekli**: a.g.e., s. 10.

55 **Uygur Kocabaşoğlu**: a.g.e., s. 139: 141.

56 **Ebru Esenkal**: a.g.e., s. 31.

57 **Yavuz Güler**: a.g.e., s. 238.

58 **Hakan Özdemir**: Osmanlı İdaresinin Ermeni Okullarına Yaklaşımı (1878: 1900), Tarih Okulu Dergisi, Clit:. 13, 2011, s. 127..

الجماعة الأرمنية التقليدية من احتواء هذا الجيل[٥٩].

وأصبحت هذه الأجيال التي نشأت وتعلمت في مدارس الإرساليات التبشيرية الأمريكية – على عكس عائلاتهم – لديها فجوة ثقافية حادة؛ لأنهم تربوا ضمن إطار تعليمي ذي هوية مسيحية خالصة، وبالتالي شعروا بالغربة والعزلة تجاه البيئة المجتمعية المسلمة التقليدية التي كانوا يعيشون فيها. وقد أكّدت معاهدة برلين عام ١٨٧٨م على هذا التوجه. فعلى الرغم من أن الدولة العثمانية قد تعهدت بموجب المادة ٦١ من تلك المعاهدة بعمل إصلاحات لصالح الأرمن في الأماكن التي يعيشون بها وتضمن حمايتهم من اعتداءات بعض الجماعات، كالأكراد والشركس، وتعهدت بموجب المادة ٦٢ منها بأنها لن تتسبب في فقدان أي حقوق أخرى للأرمن إذا ما غيّروا طائفتهم، وأقرّت بأن القناصل والمبشرين سيكون لهم الحق في حماية المؤسسات الدينية رسميًا[٦٠]، فإن السلطان عبد الحميد الثاني لم يطبق كلتا المادتين قط، مستفيدًا من العداوة الكامنة بين الدول الكبرى، واعتُبر هذا الأمر واحدًا من أكبر إنجازات السلطان عبد الحميد الثاني في السياسة الخارجية[٦١]. ولعل هذا ما حطم آمال الأرمن بشكل كامل في خلق دولة لهم عن طريق التفاوض، وخلق قناعة لدي قطاعات منهم ترى أن الطريق الوحيد للوصول إلى ذلك الهدف يكون عن طريق دعوة جموع الأرمن إلى التمرد والعصيان المسلح ضد الدولة العثمانية. وعلى ذلك بدأت فترة تأسيس منظمات أرمنية مسلحة، مثل: الهنتشاق Hınçak عام ١٨٨٧م، وطاشناق Taşnak عام ١٨٩٠م[٦٢].

وفي هذا الإطار نظّم الأرمن العديد من التمردات والمظاهرات، منها: تمرد أرضروم وواقعة موسى بك ومظاهرة قوم قابي في عام ١٨٩٠م، وفي عام ١٨٩٢، ١٨٩٣م وقعت أحداث مرزيفون وقيصري وبوزجات. وعصيان صامسون الأول عام ١٨٩٤م، وفي عام ١٨٩٥م وقعت واقعة الباب العالي وعصيان زيتون وأحداث طرابزون وگومشخانه وباروت وأرضروم وهنيس وموش وبتليس، وهجوم البنك العثماني عام ١٨٩٦م، وعصيان صامسون الثاني عام ١٩٠٤م، ومحاولة اغتيال السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٥م[٦٣]. ولعل إلقاء نظرة على تواريخ تلك الأحداث يُشير إلى أن معظم هذه الأعمال وقعت في فترات تالية لتأسيس المدارس الإرسالية الأمريكية.

---

59 **Selçuk Akşın**: Osmanlı Ermenilerinde Kültür Modernleşmesi, Cemaat Okulları ve Abduhamid Rejimi, Tarih ve Toplum Yeni yaklaşımlar (5), s. 1.

60 **Levent Çörekli**: a.g.e., s. 10.

61 **Yılmaz Öztuna**: Tarih ve Politika Ansiklopedisi, Ötüken Neşriyat, Istanbul, 2006., s. 99.

٦٢ للوقوف تفصيلًا على تأسيس هذه المنظمات وما أحدثته من أعمال أرهابية داخل الأراضي العثمانية، انظر:

Orhan Doğan: Ermeni Komiteleri Hınçak ve Taşnaksütün (Rus Adalet Bakanı Y. Muravyev'in Ermeni Komitelerine İlişkin Raporu), Selçuk Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi, Sayı: 20, 2008, s. 311: 315.

63 **Mustafa Hidayet Vahapoğlu**: Osmanlı'dan Günümüze Azınlık ve Yabancı Okullar, Milli eğitim bakanlığı yayınları, Istanbul, 2005, s. 27.

كما كانت هناك علاقة وثيقة بين بعض المعلمين وبعض عصابات الأرمن؛ فلم يتأخر هؤلاء المعلمون عن تقديم مساعدات مادية لتلك العصابات، أو في بعض الأحيان كانوا ينخرطون بشكل فعلي معهم في أنشطتهم. حتى إن عددًا من مدرسي المدارس الأرمنية شكّل نسبة ملحوظة من المتمردين الأرمن الذين شاركوا في الأحداث الدامية التي وقعت في الأناضول في تلك الفترة بين عامي ١٨٩٢: ١٨٩٦م. وقد تعرض بعضهم للقتل، وهرب البعض الآخر من الأناضول، حتى إن كثيرًا من المدارس الأرمنية أصبحت بلا مدرسين بعد عام ١٨٩٥م[٦٤].

ولعل الوثائق العثمانية تؤكد مثل تلك النشاطات المضرة بالدولة العثمانية؛ ففي إحدى الوثائق المؤرخة بتاريخ ٢٢ مايس ١٣١٢ رومي، الموافق ٣ يونيه ١٨٩٦م نجدها تتحدث عن حماية المبشرين الأمريكان لعدد من الأرمن المتهمين، الذين قتلوا ثلاثة من القرويين الأتراك المسلمين وجرح ثلاثة آخرين[٦٥].

وختامًا، يمكن القول إن هذه المدارس قد نجحت في صياغة هوية وطنية جديدة لطلابها من الأرمن عن طريق تدريس اللغة الأرمنية، والاهتمام بالتاريخ الأرمني مع التركيز على نقاط الخلاف مع الوسط العثماني الحاضن لهذه المجموعة العرقية والدينية. كما أنها نجحت في تخريج كوادر محلية من الأرمن أنفسهم، لتولي مهمة التدريس في المدارس التي أُنشئت بشكل واسع وانتشرت في كل أرجاء الأناضول. وتولت مجموعات من خريجي تلك المدارس – على اختلاف وظائفهم – مسألة دعم تطلعات الأرمن، على المستوى المعنوي في بعده الثقافي والدعائي، أو على المستوى المادي المُتمثل في مشاركة عصابات الأرمن المسلحة في تمردهم ضد الدولة العثمانية التي حاولت السيطرة على هذه الأمور، والحدّ من نشاطات تلك المدارس وغيرها من مؤسسات التعليم الأجنبية الأخرى، عن طريق وضعها تحت رقابة وإشراف السلطات العثمانية، وهذا ما سنتعرض له تفصيلًا في الصفحات القادمة.

المبحث الثاني: جهود الدولة العثمانية في مواجهة مؤسسات التعليم الأجنبي: الآليات والتطبيق:

شكّل التدريس باللغة الإنجليزية أو باللغة الأرمينية في مدارس الإرساليات الأمريكية، بما احتواه من مضامين ثقافية تعمَّدت إهمال الموروث الحضاري للبلد الذي أُنشئت تلك المدارس على أرضه، أساسًا لظهور أجيال من خريجي تلك المدارس تستلهم المفاهيم والقيم الغربية، وتعتبر أنها وحدها هي الجديرة بالاتِّباع والتقليد. ذلك أن الأثر الذي تُحدثه مثل هذه المدارس الأجنبية التي يتعلم بها الطالب هو أثر راسخ ومستمر يصعب تجاهله؛ فالطالب – وهو في سن مبكرة – كان يجلس بين يدي معلمه المسيحي الأجنبي يتلقَّى عنه العلم، ومن خلال التأثر بشخصيته يمكن أن تنتقل إليه أفكار ومفاهيم قد تخالف قناعاته وإيمانه الذي نشأ وتربى عليه.

64 **Bkz. Ayşe Zamacı**: "Ermeni Milliyetçiliğinin Siyasallaşmasında Ermeni Muallimlerinin Faaliyet Ve Rolleri". Ermeni Araştırmaları, Sayı: 62 (Nisan 2019), s. 53: 60.

٦٥ انظر: الأرشيف العثماني وثيقة رقم DH.TMIK.M، وهي وثيقة سرية مُرسلة إلى ولاية وان الجليلة. وثيقة رقم (٢).

وقد استفادت المدارس الأجنبية، ومنها الإرسالية بطبيعة الحال، من عدم وجود تشريع في موضوع التعليم، وكان لها حرية للحركة دون أي نوع من المضايقات. وفي سبيل تحقيق أهدافهم نجحوا في إصدار بعض القوانين لصالحهم، منها قانون حق الرعايا الأجانب في التملك، والذي صدر في ٧ صفر ١٢٨٤هـ/ ١٦ يونية ١٨٦٧م. وعن طريق هذا القانون شَرَعت الدول الأجنبية في شراء الأراضي وبناء الكنائس والمدارس، وعندما أرادت الدولة العثمانية الحدَّ من بيع تلك الأراضي لم تنجح في ذلك. وفي العام نفسه (١٨٦٧م) ظهر عدد من المدارس غير الرسمية وغير المرخصة، وأُعدت لائحة لم تهدف إلى الحدّ من افتتاح هذه المدارس، بل إلى توفيق أوضاعها بشكل رسمي. وهكذا اكتمل السعي لوضع هذه المدارس تحت إشراف الدولة، سواء من ناحية الحصول على ترخيص، أو وضعها تحت الرقابة بشكل كامل[٦٦].

ومع انتشار تلك المدارس بشكل متسارع على الأراضي العثمانية في ظل ضعف قدرات الدولة، والظروف السياسية التي كانت تمر بها البلاد في القرن التاسع عشر، بدأت الدولة – رغم تأخر الوقت – تدرك مخاطر ترك مدارس الأقليات بشكل عام، والتبشيرية منها بشكل خاص، دون رقابة عليها وعلى مناهجها. لذا استدعى الأمر القيام بعدد من الخطوات وإصدار عدد من التشريعات التي تضمن وجود آلية معينة للرقابة على تلك المدارس والحدّ من نشاطها.

- إصدار لائحة المعارف العمومية:

وفي هذا الإطار، جاءت أولى تلك المحاولات المتمثلة في إصدار لائحة المعارف العمومية عام ١٨٦٩م بهدف تنظيم العملية التعليمية في سائر المؤسسات التابعة للدولة، وتوفير آلية للإشراف والرقابة على مدارس الأقليات والمدارس الأجنبية. وكانت غير مسبوقة في تاريخ الدولة العثمانية؛ إذ ظلت تلك المدارس خارج سيطرة الدولة ورقابتها حتى صدرت تلك اللائحة.

وكانت اللائحة تتألَّف من خمسة أبواب؛ جاء الباب الأول مُقتصرًا على تناول المدارس التابعة للدولة تحت عنوان «في بيان أقسام درجات المدارس»، وتناول في قسمه المكون من عدة فصول: المكاتب، أي المدارس بمراحلها المتنوعة؛ كالمرحلة الأولية المُمثلة في مكاتب الصبيان، والمرحلة المتوسطة المُمثلة في المدارس الرشدية والمكاتب السلطانية، ثم المراحل العليا التي شملت دار المعلمين ودار المعلمات ودار الفنون. وفي كل منها تفصيل المناهج الدراسية التي يدرسها الطالب في كل مرحلة من تلك المراحل[٦٧].

أما المواد المتعلقة بالمدارس الخاصة والأجنبية؛ فقد جاء في القسم الثاني من الباب الأول تحت عنوان «المكاتب الخاصة»، وهو قسم صغير نسبيًا مقارنة ببقية الأقسام، حيث جاء في صفحة واحدة، في مادتين فقط، هما: ١٢٩، ١٣٠، وفيهما كل الأحكام المتعلقة بالمدارس الخاصة والأجنبية[٦٨].

---

66 **Ebru Esenkal**: a.g.e., s. 31.

٦٧ انظر: معارف عموميه نظامنامه سى، مطبعهء عامره، استانبول، ١٢٨٦هـ، ص ١: ٣٤.

٦٨ معارف عموميه نظامنامه سى، مرجع سابق، ص ٣٥.

أما بقية أبواب اللائحة، فقد تناولت التشكيل الإداري لهيئة المعارف العمومية، والامتحانات والشهادات الواجب الحصول عليها للتعيين في إحدى درجات التدريس، والشروط الواجب توافرها في كل من يتولى وظيفة التدريس، والأمور المالية المتعلقة بالعملية التعليمية وإدارتها من ناحية المخصصات والواردات والنفقات[٦٩].

وفي صدر المادة ١٢٩ ورد تعريف للمدارس الأجنبية على النحو التالي: «يقصد بالمكاتب الخاصة المدارس الخاصة التي يتم تأسيسها في بعض الأماكن، سواء من قِبل الجماعات أو من قِبل أشخاص من رعايا الدولة العلية أو الدول الأجنبية، ووظيفة التدريس بها بأجر أو بدون أجر، ويُنفق عليها وتُوفَّر مخصصاتها عن طريق الأوقاف التي يُؤسسها هؤلاء الأشخاص»[٧٠].

أما بقية المادة فقد خُصِّصت لبيان الشروط الواجب تحقيقها لحصول أية جهة على رخصة لافتتاح إحدى المدارس الأجنبية. وكانت هذه هي المرة الأولى التي تضع فيها الدولة شروطًا لا بد من توافرها حتى يُسمح بعمل المدرسة واستمرارها على أراضي الدولة. وقد نصَّت هذه الشروط على ما يلي: «ويُشترط لتأسيس هذا النوع من المدارس وجود شهادة صادرة عن نظارة المعارف أو إدارة المعارف المحلية لدى معلميها. وثاني الأمور الواجب مراعاتها هو عدم تدريس ما يُعارض الآداب والسياسة في هذه المدارس. وذلك عن طريق تصديق نظارة المعارف، أو إدارة المعارف المحلية على جداول الدروس التي ستُدَرَّس في تلك المدارس. أما ثالث الشروط، فيتمثل في إعطاء رخصة رسمية بهذا الشأن لتلك المدارس من جانب نظارة المعارف الموجودة في مدينة استانبول فقط»[٧١].

وأوضحت المادة نفسها أنه في حال عدم توافر هذه الشروط الثلاثة بشكل كامل فإن تلك المدارس لا تُمنح رخصة لافتتاحها ودوام العمل بها. وفي حال التصرف والعمل خلاف تلك الشروط تُمنع تلك المدارس من العمل. وإذا كانت هناك شهادة في يد المدرسين المعيَّنين لافتتاح تلك المدارس فإنه يلزم التصديق عليها من قِبل إدارة المعارف[٧٢].

أما المادة مائة وثلاثون من تلك اللائحة فتتناول الأمور التربوية الخاصة بمعاملة الأطفال الدارسين في تلك المدارس، وتؤكد بنص واضح أنه من الممنوع – بصورة قطعية – الضرب أو التلفظ بألفاظ نابية عند تأديب الأطفال غير الملتزمين أو غير المجتهدين. كما نصّت على أن تأديب الطلاب المستحقين للعقاب نتيجة الإهمال وعدم الانضباط، يكون وفق تعليمات خاصة، ومن يتصرف خلاف ذلك سيكون مستحقًا للجزاء أو العقوبة[٧٣].

---

٦٩ المرجع السابق، ص ٣٧: ٥٩.

٧٠ المرجع السابق، ص ٣٦.

٧١ معارف عموميه نظامنامه سى، مرجع سابق، ص ٣٦.

٧٢ المرجع السابق، ص ٣٦.

٧٣ المرجع السابق، ص ٣٦.

• جهود الرقابة والتفتيش في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦: ١٩٠٩م):

عقب تولي السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد الحكم في عام ١٨٧٦م، بدأت مرحلة أكثر جدية من مساعي الدولة لمواجهة تلك المدارس في محاولة للسيطرة عليها والحدّ من خطرها. واعتُبرت فترة حكم ذلك السلطان واحدة من أكثر الفترات مقاومة لجهود المبشرين؛ فعلى الرغم من إصدار لائحة المعارف عام ١٨٦٩م، فإن أعداد المدارس لم تقل، بل ازداد عددها. ولهذا السبب أصدر السلطان عبد الحميد الثاني – الذي كان يستشعر خطورة تلك المدارس – قرارًا بتغيير المادة ١٢٩ من تلك اللائحة. وفي عام ١٨٨٥م أُعدَّت لائحة قانون من قِبل مجلس المعارف، لكن تلك اللائحة لم تُحقق الغاية المرجوة؛ إذ إن الجمعيات التعليمية التي شكَّلها البروتستانت والجزويت بدأت في تعليم وتدريس أطفال الرعايا من غير المسلمين، إمّا بشكل خفي أو علني، وذلك من أجل تشجيع الأفكار والتطلعات القومية لدى أقليات مثل اليونان والأرمن والبلغار والدروز والنصيريين[٧٤].

وبسبب قصور لائحة ١٨٨٥م وعدم تحقيق الغاية المنشودة منها، أمر السلطان ياوره الخاص، درويش باشا في عام ١٨٨٧م بتأسيس لجنة برئاسته لتعديل لائحة المعارف العمومية. وفي اللائحة المعدلة أُضيفت بعض الشروط وشُدِّد على أنها ضرورية ولازمة لفتح تلك المدارس، ومنها:

– على من يريد الالتحاق بالمدارس الأجنبية من التبعة العثمانيين ضرورة تلقي علومه الدينية في مدارسه أولًا قبل التحاقه بتلك المدارس.

– إخبار وإعلام نظارة المعارف بالكتب التي ستُدرَّس في تلك المدارس.

– ألّا يخالف لباس المدرسة الأدب وثقافة الدولة.

– إبطال معارضة المدارس لتفتيش الحكومة عليها.

– خلو سجلات مؤسسي المدارس والمدرسين العاملين بها من أية تهمة أو عقوبات[٧٥].

وبعد وضع هذا التصور لمشروع اللائحة الجديدة نوقش من الناحية القانونية، وتبيّن أن المادة الثانية والستين من معاهدة برلين والبرتوكول الملحق بها تَحُول دون إجراء تلك التعديلات. نظرًا إلى أن تلك المادة تمنح الحق لقناصل الدول الأوروبية في حماية المدارس الأجنبية؛ ولهذا السبب طُلب منع تطبيق تلك التعديلات خشية إثارة الدول الأجنبية التابعة لها هذه المدارس واعتراضها[٧٦].

74 **Şmail Mutlu**: Osmanlı İmparatorluğunda Yabancı Okullar,Doktora Tezi, İstanbul Universitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, 1999, s. 9, 10.

75 **Şmail Mutlu**: a.g.e., s. 10.

76 **Şmail Mutlu**: a.g.e., s. 11.

وعلى الرغم من تقديم أكثر من مقترح مثل الذي قُدِّم عام ١٨٩٦م على سبيل المثال لتغيير وتوسيع أحكام المادة ١٢٩ من لائحة المعارف العمومية، وإطلاق يد الدولة في التفتيش على تلك المدارس؛ فإن أيًّا منها لم يتحول إلى قانون. وأصرَّ ممثلو الطوائف غير المسلمة على منع التفتيش على تلك المدارس بدعوى أن فرمان التنظيمات يُوفر لهم هذا النوع من الامتيازات[٧٧].

وكانت السفارات تُكثف ضغوطها لمنع وتأجيل تطبيق أي قانون يصدر للتفتيش على المدارس الأجنبية، حتى إن الإداريين في المدارس الأجنبية في الفترة الأخيرة من عمر الدولة كانوا يرفضون مقابلة المفتشين العثمانيين القادمين للتفتيش على تلك المدارس، ولا يسمحون لهم بالدخول إلى حرم المدرسة[٧٨]. وكان لهذه الضغوط أبلغ الأثر في عدم تنفيذ ما ورد في لائحة المعارف العمومية، ولا سيما المادة ١٢٩ المتعلقة بالمدارس الأجنبية.

وبلغ من تدخل الدول الأجنبية أنها أجبرت الدولة العثمانية على العفو عن معلِّمَيْن اثنين اشتركا مع جماعة الهنتشاق الأرمنية المسلحة بعد أن أُدينا بالعصيان والتمرد، وحكم عليهما بالإعدام. ونتيجة ضغط الحكومة البريطانية وتهديدها، اضطر السلطان عبد الحميد الثاني إلى إصدار أمر بالعفو عنهما، كما صدر في أبريل من عام ١٨٩٣م عفو عام عن جميع المتهمين الأرمن السياسيين[٧٩].

ونتيجة لهذه المعوقات سلك السلطان عبد الحميد الثاني طريقًا آخر لتنفيذ رؤيته في الحدِّ من خطر هذه المدارس، وتمثل ذلك في عدة أمور:

- ربط المدارس الأجنبية ومدارس غير المسلمين بالحصول على رخصة.
- تدريس اللغة التركية في مدارس غير المسلمين.
- قصر تدريس اللغة التركية على مدارس الرشدية نتيجة قلة عدد المدرسين.
- التصديق على الكتب والبرامج الدراسية بعد دراستها من قِبل مديري المعارف.
- ضرورة الحصول على إرادة سُنِّية لإنشاء أية مدرسة من طرف الأجانب.
- بحث تناسب المدارس المراد فتحها مع عدد السكان المحليين في المنطقة[٨٠].

ورغم كل هذه التدابير، فإن عدد المدارس المفتوحة لم يقل، وأصبحت تتوسع بشكل سرطاني في جسد الدولة المتهالك أصلًا. ورغم تعدد جهود التفتيش والرقابة التي حاولت الدولة فرضها على تلك

77 **Ebru Esenkal**: a.g.e., s. 57.

78 **Sezen Kılıç**: a.g.e., s. 265.

79 **Ayşe Zamacı**: a.g.e., s. 62, 63.

80 **Ebru Esenkal**: a.g.e., s. 58.

المدارس؛ فإنها ظلَّت مجرد قرارات لم تبلغ مستوى التأثير الفعلي. ويرجع السبب في ذلك إلى ارتباط تلك المدارس بتشكيلات الجماعات الدينية، وتولَّت الكنائس وقناصل الدول الأوروبية – كما سبقت الإشارة – منع تنفيذ تلك الإجراءات.

وبناء على ذلك لم يكتفِ السلطان عبد الحميد بإصدار اللوائح التي تحاول الحدَّ من نشاط هذه المدارس التبشيرية؛ بل كلف بعض رجال الدولة بإعداد تقارير عن أحوال هذه المدارس وما يجب تنفيذه. وجاء على رأس هذه التقارير تقرير محمد فريد باشا عام ١٨٨٩م، وأحمد زهدي باشا في عامي ١٨٩١، ١٨٩٤م، وأحمد جودت باشا. وأكد التقرير الذي قُدِّم في عام ١٨٩٤م على أن الدولة العثمانية لم يكن لها أية سياسة تتعلق بالمدارس الأجنبية. وبعبارة أخرى، كأن الدولة أغمضت الطرف عن كل ما أرادته المدارس الأجنبية. وخَلُصت كل هذه التقارير إلى ما يلي:

- إجراء تفتيش صارم على تلك المدارس.
- جعل تدريس التاريخ العثماني واللغة التركية إجباريًّا.
- منع إلحاق الطلاب المسلمين بهذه المدارس.
- زيادة أعداد المدارس التابعة للدولة وزيادة ميزانياتها.
- الاعتناء باختيار مدرسي تلك المدارس[٨١].

وعلى الرغم من الموانع السياسية، والحالة الاقتصادية، وهذه الصعوبات التي حالت دون تطبيق مثل هذه التوصيات التي خرجت بها هذه التقارير، فإن السلطان عبد الحميد الثاني لم يتوقف عن محاولة الحدّ من نشاط تلك المدارس والسيطرة عليها، وسعى من خلال توسيع رقعة التعليم الرسمي الذي تُشرف عليه الدولة إلى إيجاد بدائل لتلك المدارس الأجنبية والتبشيرية. ولكي تستطيع الدولة مواجهة هذا الانتشار الممنهج لتلك المدارس وتقليل الرغبة والحماس فيها، بدأت افتتاح المدارس وتوظيف معلمين موثوق بهم من غير المسلمين، وتدريس اللغة التركية وتثبيت مكان لها ضمن البرامج الدراسية. ولهذا السبب توسَّعت الدولة في إنشاء المدارس الإعدادية والابتدائية في العديد من الولايات، والتي كانت مجانية ومختلطة، للوصول إلى هذا الهدف مثل: بيروت وسوريا وحلب وآيدين وديار بكر ومعمورة العزيز وأضنة وسيواس وأدرنه وسلانيك وقوصوه ويانيه[٨٢].

وبسبب أن ما حدث في عهد السلطان عبد الحميد الثاني من تداعيات تخص الأقليات العرقية على المستوى السياسي كان نتاجًا للجهود التي نُفِّذت في التعليم عقب مرحلة التنظيمات، شُدِّد على توحيد

81 **Hakan Özdemir**: a.g.e., s. 132.

82 **Zeki Salih Zengin**: a.g.e., s. 643.

البرامج الدراسية في المراحل الأولية من التعليم، وتمثَّل ذلك في إعطاء مكانة متميزة فيها للغة التركية[٨٣]. وقبل ذلك كان تدريس اللغة التركية اختياريًا في تلك المدارس؛ فقد أكدت لائحة التعليمات الصادرة في عام ١٨٩٦م والخاصة بوظائف مديري المعارف على تدريس اللغة التركية في المدارس الأجنبية ومدارس الجماعات الدينية، وأن تكون اللغة التركية هي لغة التعليم بشكل كامل[٨٤]. وللتأكد من دراسة اللغة التركية في المدارس الأرمينية رُبطت مساعدات الدولة لهذه المدارس بتعليم تلك اللغة[٨٥].

ولكن هذا القرار المتمثل في جعل اللغة التركية لغة الدراسة في المدارس الأجنبية بدرجاتها المختلفة كان يفتقر إلى آليات تطبيقه بسبب قلة عدد مدرسي تلك اللغة، كما أوضحت بجلاء إحدى الوثائق الصادرة عن مجلس الوكلاء بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٨٩٤م أن كون تدريس اللغة التركية إجباريًا في جميع المدارس الأجنبية كان يحول دونه قلة عدد المدرسين الذين يصلحون لأداء تلك المهمة. ولذا خلُص القرار إلى قصر تدريس اللغة التركية على المدارس الموجودة في القصبات دون القرى[٨٦]. وهذا يوضح أن إجراءات حظر المدارس الأجنبية والحدّ من آثارها السلبية على المجتمع والدولة العثمانية كانت تفتقر إلى الآليات الواضحة التي تُمكّن القائمين على أمر التعليم في تلك الفترة من تحقيق مساعيهم، وأن ما يصدر عن الدولة من قرارات كان يفوق قدراتها على التنفيذ.

وهناك أمر آخر سعت الدولة للسيطرة عليه ووضعه تحت إشرافها، وتمثَّل ذلك في الكتب الأجنبية الخاصة بتلك المدارس؛ حيث كانت تُستقدم من الخارج وتُدرَّس بشكل كامل حتى لو اشتملت على معلومات وكتابات ضد الأتراك والدولة العثمانية. وقد حاولت الدولة العثمانية السيطرة على هذا المحتوى الدراسي بطريقة أخرى غير التفتيش المباشر[٨٧]، وذلك عن طريق الجمارك للسيطرة على الكتب الدراسية الواردة من الخارج. وبداية من عام ١٨٩٥م اتُّخذ قرار بالتدقيق الشديد على كل كتاب أجنبي يأتي إلى الجمارك العثمانية، ومراجعة محتوى الكتاب صفحةً صفحة[٨٨]؛ إلا أن هذه المساعي لم يُكتب لها النجاح، وذلك لضعف إمكانات المراقبة والتفتيش بسبب نقص عدد الموظفين المؤهلين لقراءة اللغات الأجنبية

---

83 **Zeki Salih Zengin**: a.g.e., s. 646.

84 **Tuğrul Özcan**: a.g.e., s. 222.

85 **Macit Kenanoğlu**: a.g.e., s. 189.

٨٦ انظر: وثيقة رقم MV. 83. 2 في:
Muzaffer Albayrak, Kevser Şeker: Arşiv Belgelerine Göre Osmanlı Eğitiminde Modernleşme, Başbakanlık Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü, Istanbul, 2014, s. 212.

٨٧ بعد عام ١٨٩٠م كان موظفو الدولة يقومون بحملات لتفتيش ومداهمة مدارس الأرمن، فأحيانًا كانوا يجدون أفرادًا من العصابات السرية في هذه المدارس فيغلقون المدرسة. وأحيانًا أخرى يلقون القبض على الإداريين والمدرسين. ثم صدر في عام ١٨٩٣م قرار ينص على عدم إعطاء نظارة المعارف ترخيصًا لأية مدرسة دون الحصول على إذن من هيئة الوكلاء. انظر:
Hakan Özdemir: a.g.e., s. 129.

88 **Selçuk Akşın**: a.g.e., s. 13.

وترجمتها[٨٩]، ولهذا السبب كان التفتيش في أغلب الأحيان يتأخر لمدة طويلة دون إجراء التدقيق اللازم[٩٠].

واضطرت الدولة العثمانية أمام هذا الوضع إلى الإذعان والقبول بالأمر الواقع، وشاعت عبارة متداولة بشأن المدارس، تقول: «لأنها كانت موجودة من قبل، فلتستمر من الآن فصاعدًا». ومع ضغط الدول الأجنبية بدأت ورقة الرقابة على الكتب تهرب من يد الدولة العثمانية حتى انتهى الأمر إلى الفشل[٩١].

وفي مسعى من الدولة العثمانية لاستيعاب الأطفال الأرمن داخل مدارس الدولة أُضيفت اللغة الأرمنية إلى مفردات ومناهج الدراسة في تلك المدارس، لجذب الطلاب للدراسة في هذه المدارس الإعدادية والرشدية في مدن أضنة ومعمورة العزيز وأرضروم ووان وديار بكر. وكان الغرض من افتتاح هذه المدارس هو تجاوز أزمة الثقة في بعض المناطق بين المسلمين والأرمن، غير أن هذه المحاولة أيضًا باءت بالفشل[٩٢].

إضافة إلى هذا ألغت الدولة العثمانية في عام ١٨٩٣م اتحاد المدارس الأرمنية الذي كان يُنسِّق بين كل هذه المدارس، ويُحدد البرامج الدراسية بها[٩٣]. وكان هذا الكيان قد أُنشئ بعد عام ١٨٦١م، في فترة انتشار التعليم الأرمني بشكل واسع خارج استانبول، وتأسيس جمعيات ثقافية أرمنية في مناطق الأناضول المختلفة مثل أضنه ووان وأرضروم ومعمورة العزيز وديار بكر وتبليس، وذلك بغرض إحداث تناغم وانسجام بين المدارس الأرمينية في الدولة العثمانية من خلال هذا الكيان[٩٤].

كما قُدم اقتراح في عهد السلطان عبد الحميد الثاني يقضي بإلغاء الدروس الدينية من المدارس الإعدادية التابعة للدولة؛ وذلك لسد ذريعة غير المسلمين في عدم إرسال أبنائهم إلى تلك المدارس بحجة تدريس الدين الإسلامي بها. إضافة إلى التفكير في إلغاء دروس الدين من مؤسسات التعليم الأولى بهدف توحيد مؤسسات التعليم تلك، ولكن هذا الاقتراح لم يوضع موضع التنفيذ[٩٥].

أما الآلية التي نجحت الدولة في تحقيقها فقد تمثلت في منع المسلمين من الدراسة في مدارس الإرساليات الأجنبية؛ ذلك أن مديري هذه المدارس من القساوسة والرهبان كانوا يجبرون الطلاب المسلمين

---

٨٩ ومن اللافت للنظر أن أكثر الموظفين المكلفين بالتفتيش على المدارس الخاصة بالجماعات الدينية من قِبل الباب العالي ونظارة المعارف كانوا إما من الأرمن أو المسلمين ذوي الأصول الأرمنية؛ وذلك لأنهم كانوا على دراية كافية بمدارس غير المسلمين التابعة للجماعات الدينية، إضافة إلى معرفتهم الجيدة باللغات الأجنبية. انظر:
Tuğrul Özcan: a.g.e., s. 220.

90 **İlknur Haydıroglu**: Osmanlı Devleti'inde Yabancı Okularda Denetim ve Cumhuriyet Dönemine Yansımaları, Tarih Araştırmalar Dergisi, Cilt: 25, Sayı: 39, 2005, s. 154.

91 **İlknur Haydıroglu**: a.g.e., s. 155.

92 **Selçuk Akşın**: a.g.e., s. 14.

93 **Selçuk Akşın**: a.g.e., s. 13.

94 **Ayşe Zamacı**: a.g.e., s. 51.

95 **Zeki Salih Zengin**: a.g.e., s. 646.

الذين يدخلون إلى هذه المدارس على الذهاب إلى الكنيسة وممارسة العبادات، وترديد الأدعية المسيحية، حتى إن بعضهم كان يُقبِّل الصليب طلبًا للمغفرة. وكان التدبير الوحيد المُتخذ لمواجهة هذا الأمر هو السعي لمنع دخول هؤلاء الطلاب من المسلمين إلى تلك المدارس[٩٦]. وخشيت الدولة العثمانية قبول الطلاب المسلمين في المدارس الأجنبية التابعة للجماعات الدينية وراقبت هذا الأمر بصرامة[٩٧]. وفي هذا السياق، بدأ بعض ولاة الأمور المسلمين في سحب أولادهم من المدارس الأجنبية احتجاجًا على تصرفات مديريها، مثلما حدث في إحدى المدارس اليونانية عام ١٨٨٧م، والتي كانت تُلقن طلابها الأفكار الانفصالية وتهين الجنود العثمانيين العائدين من مراسم السلام التي كانت تُنفذ يوم الجمعة. وعندما طلب بعض ولاة الأمور إبعاد ذلك المدير اليوناني الذي تسبب في كل هذا عن منصبه لم يُفض ذلك إلى نتيجة، فاضطروا كرد فعل على هذا التجاهل إلى سحب أولادهم من المدرسة[٩٨].

لكن تلك الحال تغيرت عقب تولِّي جمعية الاتحاد والترقي مقاليد السلطة في البلاد؛ فبينما كان التعليم في معهد البنات الأمريكي في بورصة قاصرًا على غير المسلمين حتى عام ١٩٠٨م، شهدت الفترة عقب المشروطية الثانية التحاق عدد من الطلاب الأتراك المسلمين بتلك المدرسة بنسب متزايدة. وطُبِّقت البرامج الدراسية بشكل كامل على جميع الطلاب المسلمين؛ فعلى سبيل المثال كان الطلاب المسلمون مجبرين على حضور دروس الإنجيل والصلوات الصباحية، وأظهر ولاة الأمور ردة فعل تجاه تلك الممارسات[٩٩].

وفي الختام، تبدو حقيقة أن كل الإجراءات التي أدَّت إلى زيادة عدد المدارس الأجنبية وتحوُّلها إلى كيان حصين داخل الدولة، غير قابل للتفتيش، ومعارض لأي نوع من التغيير كان قد حدث في فترات سبقت عهد السلطان عبد الحميد الثاني. وعندما جاء ذلك السلطان إلى الحكم، كانت هذه الأمور قد اكتملت، وكان من الصعب تغيير هذا الواقع الذي كان يشبه كرة الثلج الآخذة في التدحرج. وقد تأكد هذا الوضع مع تيقن الدول الغربية أن الدولة العثمانية تعيش في فترة تدهور، ولم تعد لديها القدرة على المقاومة. ورغم مساعي السلطان عبد الحميد الثاني الحثيثة، فإنه لم يستطع أن يُحقق سوى نجاحات محدودة في الحدّ من أنشطة تلك المدارس الضارة على الأراضي العثمانية في فترة كانت تشهد أوج تمددها وانتشارها وتأثيرها.

96 **Sezen Kılıç**: a.g.e., s. 268.

97 **Tuğrul Özcan**: a.g.e., s. 225.

98 **Zeki Salih Zengin**: a.g.e., s. 624.

99 **İdris Yücel**: Yabancı Okullar ve Kültürel Milliyetçilik: Bursa Amerikan Kız Koleji Tanassur Hadisesi (1928), Belleten, Cilt: 80, Sayı: 287, Ankara, 2016, s. 310.

خاتمة:

بدأت فترةُ التنظيمات في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر على فكرةٍ مفادها أن منح مزيد من المكتسبات والحريات الدينية للعناصر غير المسلمة كان يُفترض أن يؤدي إلى تعزيز ارتباط تلك المجموعات ارتباطًا عضويًّا بالدولة. وقد استغلت الدول الأوروبية ذلك المناخ الذي وفرته فترة التنظيمات وبدأت في إرسال البعثات التبشيرية للعمل بين العثمانيين. وكان إنشاء المدارس التبشيرية إحدى أهم الوسائل التي اعتمد عليها المبشرون لنشر لغات الدول التي تنتمي لها تلك المدارس وثقافاتها بين الأقليات الدينية والقومية في الدولة العثمانية.

وحاولت تلك الدول، من خلال هذه المدارس، تنفيذ طموحاتها السياسية الرامية إلى إضعاف الدولة العثمانية، وذلك عبر استغلال الأقليات الدينية لتشكيل كيانات قومية داخل بنية الدولة، تدعو إلى التمرد عليها والانفصال عنها، وتحويل تلك الكيانات – إذا ما سنحت الظروف الدولية – إلى دول مستقلة، ولا سيما في الفترات التي شهدت ضعف الدولة العثمانية، بوصفها دولةً اتسمت بتنوع إثني وديني واسع، وتميزت ببنية عرقية ودينية تختلف عن بنية معظم الدول الأوروبية.

وفي هذا الإطار، لعبت المدارس التبشيرية الأمريكية دورًا لا يُستهان به في إيقاظ الشعور القومي لدى بعض الأقليات، مثل الأرمن والبلغار. وجاء نشاط هذه المدارس متوازيًا مع إنشاء كنائس تعتنق المذهب البروتستانتي، وهو مذهب تلك الإرساليات، في معارضة واضحة للمذهب الديني السائد داخل هذه القوميات. وفي مرحلة لاحقة، جرى نقل هذه الطموحات القومية من إطارها النظري إلى مستوى عملي، تمثّل في التمرد والمطالبة بالانفصال، وهي تحركات حاولت الدولة العثمانية مواجهتها، الأمر الذي استغلته الدعاية الغربية بالتركيز عليها وتضخيمها. ومن ثمَّ انتقلت هذه القضايا إلى ساحة الدبلوماسية الدولية، لتتحول إلى أوراق ضغط في يد الدول الغربية، تمارس من خلالها مزيدًا من الضغوط السياسية على الدولة العثمانية. وعلى هذا الأساس، لا يبدو من الخطأ النظر إلى هذه المدارس بوصفها أدوات استُخدمت من قِبل تلك الدول كداعم داخلي للضغوط السياسية الخارجية التي مارستها على الدولة العثمانية.

وفي هذا الشأن، يمكن القول إن الكنيسة الأرمنية في القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من مقاومتها الشديدة لتحوُّل الأرمن إلى المذهب البروتستانتي، لم تُبدِ القدر نفسه من الرفض والحماسة في مواجهة انتشار الأفكار القومية بين الأرمن، ولا سيما في سياق سعي بعضهم إلى الانفصال وتكوين كيان سياسي مستقل، بعيدًا عن اعتبارات التعايش السلمي التي ميَّزت العلاقة بين الأرمن والدولة العثمانية على مدى عدة قرون. بل يمكن التأكيد على أن الكنيسة – من خلال مدارسها – إلى جانب المدارس التبشيرية، شكَّلت عنصرًا فاعلًا في تلك المساعي التي اضطلعت بها بعض التيارات الأرمنية المتشددة، سواء عبر أشكال من الدعم المادي، تمثلت في الاحتضان والمساندة لعناصر الجماعات الأرمنية، أو عبر دعم معنوي وروحي،

ظهر في صورة القبول أو عدم الاعتراض على الأنشطة التي نفّذها بعض الشباب الأرمن، والتي عُدَّت تهديدًا لأمن الدولة العثمانية واستقرارها.

ولعل الدولة العثمانية، لو اختلفت الظروف الخارجية وتوافرت لها الإرادة السياسية والإمكانات اللازمة، وسعت بجدية منذ مرحلة مبكرة إلى مقاومة المدارس التبشيرية والأنشطة التي مارستها داخل الأوساط الأرمينية في ظل غياب فعّال للرقابة والتفتيش، لما كان للروح القومية المتطرفة أن تنتشر على هذا النحو بين الأقلية الأرمينية، التي كان يُطلق عليها سابقًا وصف «الملة الصادقة»، أو أن تظهر بدرجات متفاوتة بين مكونات سكانية أخرى في الدولة، كالبلغار والعرب. كما أن الدولة ما كانت لتشهد تلك التصدعات العميقة في بنيانها السياسي والاجتماعي، والتي أثّرت تأثيرًا جذريًا في تماسكها ووحدتها، وهي التصدعات التي نتجت – في جانب كبير منها – عن التساهل في السماح بدخول الإرساليات التبشيرية إلى أراضيها، وما حملته معها من أجندات سياسية صبّت، في المحصلة النهائية، في مصلحة الدول الغربية.

المراجع:

أولًا: الوثائق العثمانية:

- وثيقة رقم DH.TMIK.M محفوظة في الأرشيف العثماني بتاريخ ٢٩ مايس ١٨٩٦ رومي.

https://katalog.devletarsivleri.gov.tr/

- وثيقة رقم DH.TMIK.M مرسلة إلى ولاية وان، محفوظة في الأرشيف العثماني بتاريخ ٣ يونيه ١٨٩٦م.

https://katalog.devletarsivleri.gov.tr/

ثانيًا: المراجع العربية:

- أحمد حكمت أر أوغلو: اليهود في الدولة العثمانية حتى نهاية القرن التاسع عشر، ترجمة وتقديم: أحمد عبد الله نجم، القاهرة، أركان للدراسات والأبحاث والنشر، الطبعة الثالثة، ٢٠٢١م.
- إيمان عبد الرحمن هياجنه، حنان سليمان ملكاوي: «التبشير الفرنسي الكاثوليكي في ولاية الأناضول في القرن التاسع عشر النشاط التعليمي نموذجًا»، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٤١، ٢٠١٤م.
- خليل إينالجيق: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الأرناؤوط، بيروت، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- عامر بلو إسماعيل: «التعليم التبشيري الأمريكي منذ آواخر العهد العثماني حتى عام ١٩٣٢م»، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، العدد ٢، المجلد ١٦، ٢٠٠٩م.
- عبد الرازق بركات: نصوص من الفكر الإسلامي، القاهرة، دار الهداية، ٢٠١٠م.
- فاضل بيات: المؤسسات التعليمية في الشرق العربي العثماني، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ٢٠١٣م.
- كريكور إبراهيم استارجيان: تأريخ الأمة الأرمنية، الموصل، مطبعة الاتحاد الجديدة، ١٩٥١م.
- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.
- محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٠م.
- هشام سوادي هاشم: «من صور التواصل الحضاري بين الشرق والعالم الإسلامي: المدارس الأمريكية في الدولة العثمانية»، بحث أُلقي في مؤتمر فيلادلفيا الدولي الرابع عشر الذي نظَّمته جامعة فيلادليفا في عمان تحت عنوان «ثقافة التواصل» في الفترة بين يومي ٣: ٥ نوفمبر ٢٠٠٩م. منشور على شبكة المعلومات الدولية.

https://2u.pw/gddwu

ثالثًا: المصادر العثمانية:

- معارف عموميه نظامنامه سى، مطبعهء عامره، استانبول، ١٢٨٦هـ.

رابعًا: المراجع التركية:

- **Ayşe Zamacı**: Ermeni Milliyetçiliğinin Siyasallaşmasında Ermeni Muallimlerinin

Faaliyet Ve Rolleri, Ermeni Araştırmaları, Sayı: 62, Nisan 2019.

- **Ayten Sezer**: Osmanlı'dan Cumhuriyet'e Misyonerlerin Türkiye'deki Eğitim ve Oğretim Faaliyetleri, Hacettepe Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Dergisi, Cilt: 16, 1999.
- **Ebru Esenkal**: Yabancı Ülkeler tarafından Osmanlı Coğrafyasında Açılan Okullar, Yükesk Lisans tezi, Edirne Trakya Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2007.
- **Elif Evrim Şencan**: Robert Kolej'de okuyan Türk öğrencilerin sosyal arka planları (1863: 1971), Yakın Dönem Türkiye Araştırmaları, Cilt: 17, Sayı. 33, 2018.
- **Gökhan Özeren**: ABD'nin Ermeni Politikası 1890: 1920, Yüksek Lisans Tezi, Kadir Has Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, İstanbul, 2009.
- **Hakan Özdemir**: Osmanlı İdaresinin Ermeni Okullarına Yaklaşımı (1878: 1900), Tarih Okulu Dergisi, Cilt: 13, 2011.
- **Halide Aslan**: Tanzimat Döneminde Dinî Değişim Halleri: İhtida-Gizli Din-Tanassur ve Osmanlı, Toplum Bilimleri, Temmuz - Aralık 2012.
- **Hüseyin Canyaş**: Osmanlı'dan Günümüze Misyonerlerin Kültürel Alandaki Faaliyetleri, Türklük Bilimi Araştırmaları, Sayı: 31, 2012.
- **İdris Yücel:** Yabancı Okullar ve Kültürel Milliyetçilik: Bursa Amerikan Kız Koleji Tanassur Hadisesi (1928), Belleten, Cilt: 80 Sayı: 287, Ankara, 2016.
- **İlknur Polat Haydıroglu**: Osmanlı Devleti'inde yabancı okularda denetim ve Cumhuriyet Dönemine Yansımaları, Tarih araştırmalar dergisi, Cilt: 25, Sayı: 39, 2005.
- _____: Osmanlı impratorluğunda Yabancı Okulları, Kültür Bakanlığı, Ankara, 1990.
- _____: Osmanlı impratorluğunda Açılan Amerikan Okullar Üzerine bir İnceleme, Cilt: 52, Sayı: 203, 1988.
- **Levent Çörekli**: ABD'nin Osmanlı Topraklarında Misyonerlik Faaliyetleri ve Ermeniler, Bellek Uluslararası Tarih ve Kültür Araştırmaları Dergisi, Cilt: 5, Sayı: 1, 2023.
- **Macit Kenanoğlu**: Osmanlı İmparatorluğu'nda Gayrimüsliınlerin Eğitimi Üzerine, Türkiye Araştrmalar Literatür Dergisi, Cilt: 6, Sayı: 12, 2008.
- **Mustafa Erdem**: Türkiye'de Azınlıklara Yönelik Misyoner Faalıyetleri, islam ilim araştırma vakfı, **İstanbul**, 2005.

• **Mustafa Hidayet Vahapoğlu**: Osmanlı'dan Günümüze Azınlık ve Yabancı Okullar, Milli eğitim bakanlığı yayınları, İstanbul, 2005.
• **Muzaffer Albayrak, Kevser Şeker**: Arşiv Belgelerine Göre Osmanlı Eğitiminde Modernleşme, Başbakanlık Devlet Arşivleri Genel Müdürlüğü, **İstanbul**, 2014.
• **Mümtazer Türköne**: Osmanlılar'da Islahat ve Teceddüt, Osmanlı Ansiklopedisi, İz yayıncılık, **İstanbul**, 1996.
• **Orhan Doğan**: Ermeni Komiteleri Hınçak ve Taşnaksütün (Rus Adalet BakanıY. Muravyev'in Ermeni Komitelerine İlişkin Raporu), Selçuk Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Dergisi, Sayı: 20, 2008.
• **Özgür Yıldız: İzmit'te (Nicomedia) Amerikan Misyoner Faaliyetleri, Gazi Akademik Bakış, Cilt:** 5, Sayı: 10, 2012.
• **Remzi Kılıç**: Misyonerlik ve Türkiye'ye Yeyönelik Misyoner Faalıyetleri, Türklük Bilimi Araştırmaları, Sayı: XIX, 2006.
• **Selçuk Akşın**: Osmanlı Ermenilerinde Kültür Modernleşmesi, Cemaat Okulları ve Abduhamid Rejimi, Tarih ve Toplum yeni yaklaşımlar (5).
• **Sezen Kılıç**: Cumuriyet Döneminde Yabancı Okullar 1923: 1938, Atatürk Araştırma Merkezi, Ankara, 2005.
• **Süleyman Büyükkarcı**: İngiliz Okulları ve Tarihi Gelişimi. Selçuk Üniversitesi Türkiyat Araştırmaları Dergisi (6), 1999.
• **Şmail Mutlu**: Osmanlı İmparatorluğunda Yabancı Okullar, Doktora Tezi, İstanbul Universitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, 1999.
• **Tahsın Fendoğu**: Amerika Birleşik Devletlernin Misyonerleri ve Osmanl Devleti, Türkler Ansiklopedi, Yeni Türkiye Yayınları, Ankara, 2002.
• **Uygur Kocabaşoğlu**: Kendi Blegeleriyle Anadolu'daki Amerika 19. Yüzyılda Osmanlı İmpartorluğu'ndaki Amerikan Misyoner Okulları, Arba yayınları, **İstanbul**, 1989.
• _____: Doğu Sorunu Çevresinde Amerikan Misyoner Faaliyetleri, Tarihi Gelişmeler İçinde Türkiye'nin Sorunları Sempozyumu, TTK Basımevi, Ankara, 1992.
• **Yavuz Güler**: Osmanlı Devleti Dönemi Türk – Amerikan İlişkileri (1795: 1914), Gazi Üniversitesi Kırşehir Eğitim Fakültesi, Ankara, Cilt: 6, Sayı: 1, 2005.

• **Yılmaz Öztuna**: Tarih ve Politika Ansiklopedisi, Ötüken Neşriyat, **İstanbul**, 2006.
• **Zeki Salih Zengin:** II. Abdülhamit Döneminde Yabancı ve Azınlık Mekteplerinin Faaliyetleri, Belleten, Cilt: 71, Sayı: 261, Agustos, 2007.

صور من وثائق الدراسة:

(وثيقة رقم ١)

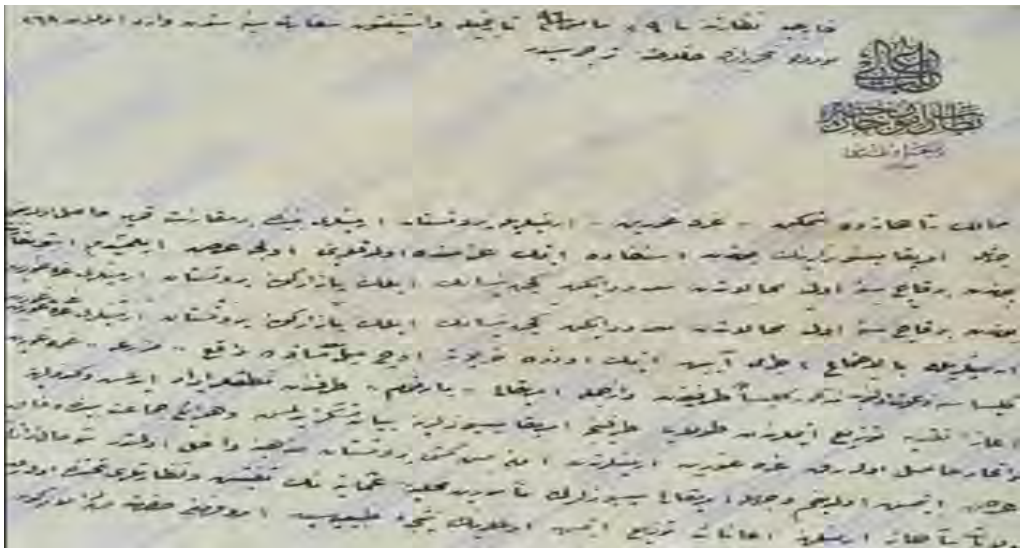

(وثيقة رقم ٢)

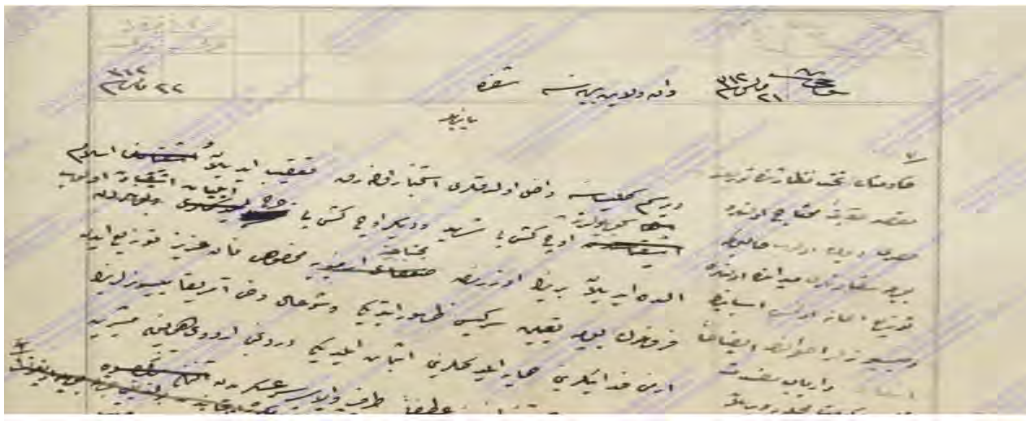

صادر عام ٢٠٢٦ عن مركز أركان للدراسات والأبحاث والنشر

الآراء الواردة بالدراسة تعبر عن وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، ويمنع نقل هذه الدراسة أو نسخها أو ترجمتها أو أي جزء منها إلا بإذن مسبق من المركز

info@arkansrp.com

أركـان للدراسات والأبحاث والنشر

Arkan for Studies Research and Publishing